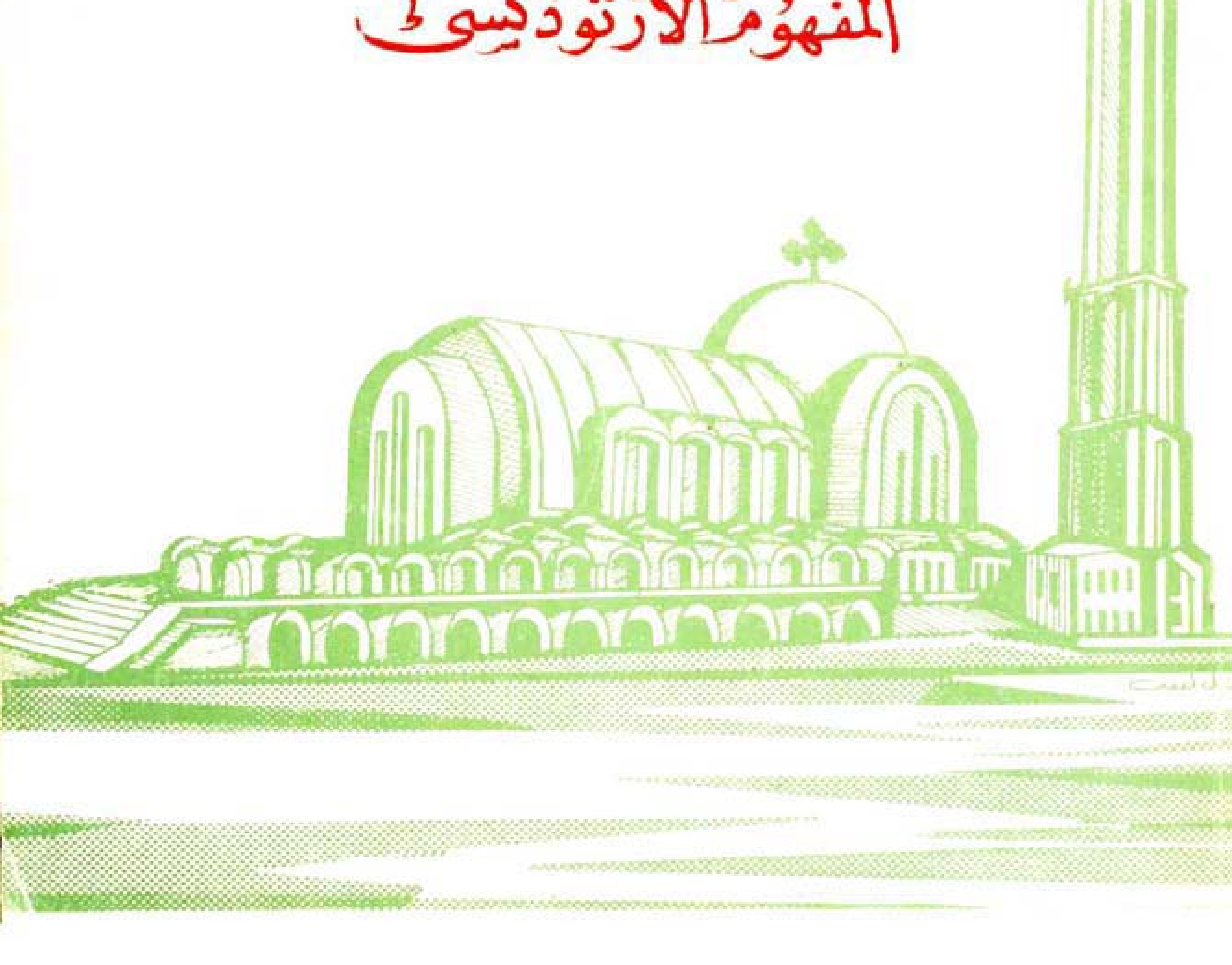


المكتبة القبطية على الانترنت
http://copticlibrary.110mb.com

البابا شنوده الثالث

الخلاص
في
المفهوم الأرثوذكسي



البابا شنوده الثالث

الخلاص
في
المفهوم الأرثوذكسي
الجزء الأول

SALVATION
In the Orthodox Concept
by H.H. Pope Shenouda III

6th print

Oct. 1988

Cairo

الطبعة السادسة

أكتوبر ١٩٨٨

القاهرة



قداسة البابا شنودة الثالث

محتويات الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تصـــــدير

هذا الكتاب هو ثمرة محاضرتين ألقاهما نيافة الأنبا شنودة (البابا شـنودة الثالث) في مؤتمر خدام الوجه البحرى المنعقد في بنها خـلال شهرى مارس وأبريل سنة ١٩٦٧ ، حينما كان أسقفاً للتعليم ٠

وقد طبع في يونيو ١٩٦٧ ، وطلب القراء اعادة طبعه مراراً،فأعيد نشره بمجلة الكرازة ســنة ١٩٧٧ ٠ ثم اعيد طبعه للمرة الثالثة في نوفمبر ١٩٨٠ ٠

وكان قداســة البابا يريد تأجيــل طبع هذا الكتاب ، ريثما يعدله ليناسب ما ظهر من أفكار خلال هذه السنوات ، ولكن بنــاء على الحاح الجماهير ، سمح باعادة طبعه كما هو ، على أن يكون مجرد الجزء الأول من مجموعة كتب يصـدرها عن الخلاص ، يتعرض فيها لشرح الايمان السليم في هذا الموضوع ، ويرد على المفاهيم المخالفة له ٠

فالى اللقاء مع كتب أخرى لشرح هذا الموضــوع ٠٠٠ مع الاجابة عن أسئلة الناس والرد على ما يثار من أفكار وشكوك ٠

لجنة أصدقاء الكلية الاكليريكية

تصـــدير الطبعة الأولى

لنيافة الأنبا غريغوريوس

قال نيافته في مقدمة الكتاب سنة ١٩٦٧ :

هذا البحث الذى كتبه نيـافة الأنبا شنودة أسقف المعاهد الدينية والتربية الكنسية، بحث يمتاز بالوضوح والدقة والشمول، في موضوع من أهم الموضوعات التى تشـغل أذهان المؤمنين في كل العصور ، لأنه يتصل بقضية «الخلاص» وهى غاية الايمان، وتاج الرجاء المسيحى..

فيه ترى التعليم الأرثوذكسى القويم،مؤيداً بمنطق سليم واستخدام صحيح للنصوص المقدسة ، كاشفاً الأغاليط ...

اننى أشهد أن هذا الكتاب القيم أمكن أن يعالج موضوع «الخلاص» لأول مرة معالجة وافية ، تكفى لأن تعطى صورة مشرفة صادقة لتعليم كنيستنا الأرثوذكسية في مشكلة الخلاص .

غريغوريوس
بنعمة الله أسقف عام
للدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

مقدمة

خطورة استخدام "الآية الواحدة" !

في موضـوع الخلاص أيها الاخوة ـ كما في أى موضـوع آخر ـ احترسـوا جداً من خطورة استخدام آية واحدة من الكتاب المقدس · **ان الكتاب المقدس ليس هو مجرد آية أو آيات ، وانما هو روح معينة تتمشى في الكتاب كله ·**

الشخص الجاهل يضع أمامه آية واحدة ، أو أجزاء من آية ، فاصلا اياها عن ظروفها وملابسـاتها وعن المعنى العام كله ، أما الباحث الحكيم ، الذى يتوخى الحق ، فانه يجمع كل النصـوص التى تتعلق بموضوع بحثه ، ويرى على أى شيء تدل ··

وفي موضوع الخلاص ، نرى أمثلة من خطورة الآية الواحدة :

آمن بالرب يسـوع المسـيح فتخلص أنت وأهل بيتك (أع ١٦ : ٣١) ·

هـذه الآية يتخذها البعض برهاناً على الخلاص بالايمان فقط !! لأن فيها يقول بولس الرسول لسجان فيلبى : «آمن ···فتخلص···» (أع ١٦ : ٣١) · وينسى الذين يستخدمون هذه الآية عدة أمور هى : لمن قيلت ؟·· وتكملة الآية ؟·· وماذا حـدث بعدها ؟·· والآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع ·

١ ـ أولا : قيلت هذه الآية لرجل أممى ، غير مؤمن ، مهما فعل من أعمال صالحة فلن تجديه شيئاً بدون الايمان بالمسيح!! لذلك كان لابد من ارشاده الى الخطوة الأولى التى بدونها لا يمكن أن ينـال شيئاً من الخلاص · فاذا خطا هذه الخطوة ، يمكن ارشـاده الى ما يتلوها من خطوات··· لم يكن مناسباً أن يكلم الرسولان هذا السجان عن أهمية

الأعمال الصالحة ، لأنها بالنســـبة اليه لا يمكن أن تفيـده وهو غير مؤمن ··· والوضع السليم أن يتدرجا معه خطوة خطوة، حتى يصل·

٢ ــ والخطوة الأولى تستخدم أحيانا في الكتاب المقدس للدلالة على العمل كله الذى يبدأ بتلك الخطوة ·

مثال ذلك قول سمعان الشيخ عندما حمل المســيح الطفل بين ذراعيه : « الآن يارب تطلق عبدك حسب قولك بسلام ، لأن عينى قد أبصرتا خلاصـــك ··· » (لو ٢ : ٢٨ـ ٣١) بينما أن سمعان الشيخ لم يبصر خلاص الرب الذى لم يتم الا بدم المسيح على الصليب عندما دفع الرب ثمن الخطيئة بموته عنا !! ولكن سمعان أبصر فقط تجسد الرب وميـلاده · ولما كان تجسد الرب هو الخطوة التنفيـذية الأولى التى تؤدى الى الخلاص ، لذلك قال سمعان الشيخ في ثقة : « لأن عينى قد أبصرتا خلاصك ··· » ·

وبهذا الأسلوب تقريباً ، تحدث بولس وسـيلا مع سجان فيلبى ، ليس عن أن ايمانه فقط هو الذى سيخلصه ويخلص أهل بيته ، وانما على أنه الخطوة الأولى التى تؤدى الى كل ذلك ·

ولعله بهذا الأسلوب أيضاً ، لما وعد زكا بأن يرد ما ســلبه من الناس أربعة أضعاف ، قال له الرب :«اليوم حصل خلاص لهذا البيت» (لو ١٩ : ٩) ··· أى أن توبة زكا هى الخطوة الأولى التى تؤدى الى خلاص البيت ··

٣ ــ وأكبر دليل على أن المقصـود بهذا الخلاص هو الخطوة الأولى المؤدية اليه ، هو قول الرسول لهذا السجان : « فتخلص أنت وأهل بيتك » ·

اذ كيف يمكن أن يخلص أهل بيته بمجرد ايمانه ؟!· هل ايمان انسان يخلص شخصاً آخر ؟!· ولكن الوضع السليم هو أن ايمان هذا الشخص هو مجرد الخطوة الأولى التى ستقوده الى الخلاص عندما يعتمد باسم يسوع المسيح ، وأيضاً سيقنع أسرته بالايمان ويكون فاتحة خير للأسرة ، وهكذا يخلص هو وأهل بيته ···

٤ ــ ولذلك نرى أن هذه الآية كان لها تكملة ، اذ يقول الكتاب أن بولس وسيلا « كلماه وجميع من في بيته بكلمة الرب ··· واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون » ·

٥ ـ ونحن اذا أخذنا هذه الآية : «**آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك**» ، انما يجب أن نضع الى جوارها آيات أخرى لنكمل فهم الموضوع ، وسأذكر لكم مثالا بسيطاً له دلالته القوية :

تقدم شاب الى السيد المسـيح ليسأله : « أى صلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟ » (مت ١٩ : ١٦) ، **فلم يقل له السيد المسيح : « آمن فتخلص » ، وانما قال له : « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا »** •

هل نجرؤ نحن ونقول أن مجرد حفظ الوصـايا كاف للخلاص ، بدون ايمان ، وبدون معمودية ، وبدون أسرار ؟!! كلا اننا لا يمكن أن نخطىء الى أنفسنا ولا الى الناس ولا الى الايمان ذاته باسـتخدام الآية الواحدة •••

في هذا المثال أيضاً نجد أن الشاب عندما قال عن الوصايا :« هذه حفظتها منذ حداثتى ، فماذا يعوزنى بعد ؟» حينئذ قال له ربنا يسوع « ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب وبع أمـلاكك وأعط الفقـراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» • **هنا أيضاً لم يحدثه السيد المسـيح عن الايمان • ولا عن النعمة ••• فهل نسـتخدم نحن هذا المثال لنقلل من قيمة الايمان ، اذ لم يرد له ذكر في حديث الرب عن نوال الحياة الأبدية ؟!•**

كلا ، حاشا لنا أن نفعل هذا وتستخدم الآية الواحدة ، فلكل مجال الكلام اللائق به • وفي هذا المثال كلم الرب الشاب الغنى بما يناسب حالته وبما يعالج أمراضه الداخلية الأصلية •••

نتناول آية أخرى من التي يستخدمها البروتستانت ومن يجرى في مجراهم •••

« فاذا قد تبررنا بالايمان ، لنا سـلام مع الله »
(رو ٥ : ١) •

يأتيك انسـان من الذين يهتمون بالآية الواحدة ، ويقول لك : هوذا أمامك آية صريحة تقول ان تبررنا بالايمـان ، فلا داعى لأن تجادل أو تفتح فمك ! هل تنكر الآية أو تعارض كلام الله !••

لا يا أخي ، نحن لا ننكر الآية ، ولا نعارض كلام الله . ولكننا نضع الى جوار هذه الآية آية أخرى من نفس رسالة بولس الرسول الى أهل رومية ، ونرى ماذا يمكن أن نفهمه من الآية. يقول الرسول: « لأن ليس الذين يسمعون الناموس **هم أبرار عند الله ، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون** » (رو ٢ : ١٣) .

هنا كلام عن تبرير من يعمل بالناموس ، هل نسمح لأنفسنا أن نخطىء ونستخدم الآية الواحدة ، ونقول أن الأعمال وحدها هى التى تخلص ، معتمدين على قول الرسول : « بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون » ؟! كلا ، بل نحن نضع الآيتين معاً (رو ٢ : ١٣) ، (رو ٥ : ١) . ونخرج بتعليم صحيح يتفق مع كلام الله ، وهو أن عمل الايمان في التبرير لا ينكر أهمية الأعمال ، ولزوم الأعمال للتبرير لا ينكر قيمة الايمان ...

هذه الآية التى تقول « اذ قد تبررنا بالايمان » ، تضع الى جوارها آية أخرى هى « **ترون اذن أنه بالأعمال يتبرر الانسان ، لا بالايمان وحده** . كذلك راحاب الزانية أيضاً ، أما تبررت بالأعمال ، اذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر » (يع ٢ : ٢٤ ، ٢٥) .

نأخذ آية أخرى :

« ... وأما الذى لا يعمل ، ولكن يؤمن بالذى يبرر الفاجر ، فايمانه يحسب له برآ »(رو٤:٥)

فهل تعنى هذه الآية أن الله يبرر الفاجر اذا ثبت في فجوره دون عمل التوبة ؟! حاشا . اذن لكى نفهم هذه الآية **فلنضع** أمامها آيات أخرى توضحها . ولنبدأ بآية من نفس الرسالة الى رومية حيث يقول الرسول (١ : ١٨) « **لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم** » .

تضيف اليها آية أخرى من الرسالة الثانية لبطرس الرسول : « واذ رمد مدينتى سدوم وعمورة ، **حكم عليهما بالانقلاب ، واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا** » (٢ بط ٢ : ٦) . وهكذا أظهر لنا الرسول أن الفاجر يشترك في مصير سدوم وعمورة .

وهذا أيضاً يشرحه معلمنا يهوذا الرسول اذ يقول : « وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم » ، قائلا : « هوذا قد جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ، **ويعاقب جميع فجورهم،** على جميع أعمال فجورهم التي فجروا بها » (يه ١٤ ، ١٥) ·

لا يمكن أن نفهم اذن من الآية التي قالها بولس الرسول أنه يكفي للفاجر أن يؤمن فقط لكي يخلص ، مع بقائه في فجوره · فان بولس نفسه أنذرنا في صراحة تامة قائلا : **« لا تضلوا · لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور ··· يرثون ملكوت الله » (١ كو ٦ : ٩ ، ١٠) ·**

أما عبارة « لا يعمل » فلعل المقصـــود بها هنـــا أعمال الناموس الطقسية ، كالختان بالذات كما يظهر من باقي النص (رو ٥:٦ــ١٢)

لا يصح مطلقاً أيها الأحباء أن نسير بطريقة الآية الواحدة ، فهي طريقة خاطئة وخطر وغير أرثوذكسية ·

ان أتاك أحد في يوم من الأيام بآية من الآيات، مهما كانت صريحة وواضحة ، فقل له : أنا لا تنفعني الآية الواحدة· لنضع أمامنا جميع النصوص التي تتعلق بهذا الموضوع ، ثم نتفاهم معاً · احترسوا من أن تخدعكم الآية الواحدة، فربما لها مناسبة معينة، وربما لها تكملة، وهذه التكملة هي التي توضح معناها · وســـأضرب لكم لذلك بعض الأمثلة :

آيات تكملتها توضحها

يقول بولس الرسول في رسالته الى أفسس (٢ : ٩) :

« لأنكم بالنعمة مخلصـــون ، بالايمان · وذلك ليس منكم ، هو عطية الله · ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد » ·

هذه آية تبدو صريحة · ولكن تمهل قليلا واقرأ الآية التي بعدها مباشرة (أفسس ٢ : ١٠) ، يقول : « لأننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها لكي نسلك فيها » · اذن لا يليق أن نخطف آية ونجري قائلين في خفة : ان الموضـــوع قد انتهى ·

● لنأخذ مثالا آخر • يقول بولس الرسول :

« **فان كان بالنعمة ، فليس بعد الأعمال ، والا فليست النعمة بعد نعمة (رو ١١ : ٦)** •

ما أجمل أن نتروى قليلا ، ونتـــابع ما يقوله الرسول في نفس الاصحاح ، حيث يستطرد : « ••• أنت بايمان ثبت • لا تستكبر بل خف • لأنه ان كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية، فلعله لا يشفق علينا أيضاً • فهوذا لطف الله وصرامته، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا • **وأما اللطف فلك ، ان ثبت في اللطف ، والا فانت أيضاً ستقطع »** •
(رو ١١ : ١٠ ـ ٢٢) •

ما معنى هذا الكلام ؟ •• معناه أنك نلت خلاصاً بدم المســيح ، ولكن يجب أن تثبت فيه ، والا فانك ستفقده اذا لم تعمل أعمالا تليق بالتوبة • لأن الغصن الذى يقطع من الشجرة يهلك ويموت •

● مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« **فأين الافتخار؟ ••قد انتفى ، بأى ناموس، أبناموس الأعمال؟•• كلا ، بل بناموس الايمان • اننا نحسب أن الانسان يتبرر بالايمان دون أعمال الناموس » (رو ٣ : ٢٧، ٢٨)** •

ان قرأنا آية مثل هذه ، فلا يصح أن نتسرع ، بل نتابع القراءة لنرى ماذا يقول الرسول بعدها •• انه يستطرد قائلا بعد هذه الآية مباشرة : « أفنبطل الناموس بالايمان حاشــا ، بل نثبت الناموس »
(رو ٣ : ٣١) •

● مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« **ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمـــال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس ••• » (تى ٣ : ٤ ـ ٦)** •

لاحظوا أن هذه الآية بالذات تتحدث عن الخلاص بالمعمودية وعمل الروح القدس • أما من جهة الأعمال، فاننا اذا أكملنا ما يقوله الرسول نجده يستطرد مباشرة : « صادقة هى الكلمة ، وأريد أن تقرر هذه الأمور لكي يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالا حســنة • فان هذه الأمور هى الحسنة والنافعة للناس » (تى ٣ : ٨) •

انني أيها الاخوة الأحباء لست في المقدمة أناقش موضوع الايمان والأعمال ، فموعده في هذه المحاضرة لم يأت بعد • انما أريد فقط أن أوجه الاهتمام الى هذه القاعدة وحدها وهي خطورة استخدام الآية الواحدة •

ونحن أنفسنا ، لا نسمح لذواتنا بتاتاً أن نستخدم هذه الطريقة الخطرة الضارة •

اننا لا نستغل « الآية الواحدة » لصالحنا

فمثلا ان وجدنا يوحنا الرسول يقول :

● **« ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) •**

ان قرأنا مثل هذه الآية ، فلا يمكن ان نقول أن الولادة الجديدة تتوقف على الأعمال وحدها ، وانما مع هذه الآية نذكر الايمان والمعمودية وأسرار الكنيسة التي لم تتضمنها الآية مطلقاً من حيث اللفظ •

وبالمثل أيضاً اذا قرأنا ليوحنا الرسول قوله :

● **« نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة ، لأننا نحب الاخوة » (١ يو ٣ : ١٤) •**

فلا يمكن أن نتخذ هذه الآية دليلا على أن المحبة وحدها كافية لتخليص الانسان ، ونقله من الموت الى الحياة !!•

وكذلك بنفس الأسلوب لا يمكن أن نستعمل الآية التي تقول :

● **« الله محبة • ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦) •**

وبنفس الأسلوب لا يمكن أن نستغل أية آية من الآيات التي تتحدث عن الأعمال وأهميتها ، مثل قول السيد المسيح للشاب الغني :

● **« ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » (مت ١٩:١٧)•**

هل مجرد حفظ الوصايا وحده يكفي ، بدون ايمان وبدون

معمودية ؟! • كلا ، بلا شـــك • أما الآية فتفهم بمعنى آخر يتفق مع الملابسات التي أحاطت بها •

وهكذا أيها الأحباء ، علينا أن نتذكر باستمرار ــ في تعرفنا على الايمان السليم ــ تلك الآية الجميلة التي تقول :

● « لا الحرف بل الروح • لأن الحرف يقتل ، ولكن الروح يحيي » (٢ كو ٣ : ٦) •

فلنبحث اذن عن مفهوم الخلاص مقتادين بروح الكتاب، لا بحرفه ، محاولين أن نجمع في صعيد واحـــد النصـــوص المتعددة التي تتناول الموضوع • لنطرق موضوعنا من جميع نواحيه لا من زاوية واحـــدة فقط ، ولا في ملابسة معينة فقط •

ونصيحتي لكم أن تبعدوا عن قراءة الكتب الغريبة ، التي تبعدكم عن الايمان السليم • ونصيحتي أيضاً أن تبحثوا الموضوع في تواضع كثير ، لأن الاعتـــداد بالذات ، في الأمور اللاهوتية ، قاد كثيرين الى الهرطقة •

بعد هذه المقدمة الوجيزة نتحدث عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ووسائطه •

★ ★ ★

الفصل الأول

لا خلاص الا
بدم المسيح وحده

لا ايمان ولا أعمال بدون هذا الدم . ان الايمان هو ايمان بدم المسيح ، والأعمال هي أعمال مؤسسة على استحقاقات دم المسيح . وكما يقول الرسول بولس : « بدون سفك دم لا تحدث مغفرة » (عب ٩ : ٢٢) .

فما هو اذن مركز دم المسيح في قضية الخلاص ؟ وما هو مركز الايمان ؟.. وما هو مركز الأعمال ؟..

الأعمال بدون دم المسيح ..

لا يوجد خلاص الا بدم المسيح، جميع الأعمال الصالحة مهما سمت، مهما علت، مهما كملت، لا يمكن أن تخلص الانسان بدون دم المسيح. **لذلك فان الأبرار الذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة في العهد القديم، انتظروا هم أيضا في الجحيم الى أن أخرجهم منه السيد المسيح بعد صلبه .**

ان الأعمال الصالحة وحدها لا يمكن أن تخلص الانسان بدون الايمان بدم المسيح. والا كان الوثنيون ذوو الأعمال الصالحة يخلصون بأعمالهم !! حاشا .

وكقاعدة عامة أقولها لكم :

جميع الآيات التي وردت في الكتاب المقدس تهاجم الأعمال ، هي عن الأعمال وحدها بدون دم المسيح، أو عن أعمال الناموس (الخاصة بشريعة العهد القديم) .

لأنه بدون دم المسيح لا يمكن للأعمال أن تفيد شيئا ..

لذلك عندما يقول الرسول: «لا بأعمال في بر عملناها » (تى٣:٥)، أو عندما يقول : « ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد »(أف ٢ : ٩) ، انما يقصد الأعمال وحدها بدون دم المسيح . **وهكذا ان وجد انسان يعمل أعمالا صالحة ، وهو غير مؤمن ، فان بر الناموس هذا لا يفيده شيئا ، وأعماله الصالحة وحدها لا تخلصه بدون الايمان .**

مثل هذا الشخص غير المؤمن، تقول له: ان أعمالك كلها لا تكفي. آمن بالرب يسوع فتخلص .

هناك فرق جوهرى أساسى بين الكلام الذى يقال للمؤمن ، والكلام الذى يقال لغير المؤمن . **في حديثك مع غير المؤمن ، يجب أن تحطم جميع الأعمال ، كلها بدون دم المسيح لا تفيد شيئا ، مثل هذا تقول له : ان أعمالك لا تخلصك ... الذى يخلصك هو دم المسيح .** ان دم المسيح هو نقطة البدء في موضوع الخلاص .

ولكن بعد أن يؤمن ، ينبغي أن تحدثه عن الأعمال الصالحة التى تليق بايمانه ، لأن الايمان بدون أعمال ميت . (يع ٢ : ٢٠) .

لماذا لا يكون الخلاص الا بدم المسيح ؟..

١ ـ الخطية هى عصيان لله ، وتعد على حقوقه ، وعدم محبة له... والله غير محدود ، اذن فالخطية غير محدودة لأنها موجهة ضد الله غير المحدود . **ومهما عمل الانسان فان أعماله محدودة ، لذلك لا تغفر الخطية الا كفارة غير محدودة ..** ولا يوجد غير محدود الا الله. لذلك لم يكن هناك حل لمغفرة الخطية سوى أن يتجسد الله ذاته ويموت . ويكون موته كفارة غير محدودة ، توفي عدل الله غير المحدود ، في الاقتصاص من الخطية غير المحدودة . الموجهة ضد الله غير المحدود .

٢ ـ هذا الكلام ينطبق على خطيئة آدم كما ينطبق على خطية اى انسان ، لأن الخطية هى الخطية ، وعدل الله هو هو ، وعقاب الخطية الذى هو الموت هو هو ، كما في العهد القديم كذلك في العهد الجديد ومعروف أن « الجميع أخطأوا وزاغوا وأعوزهم مجد الله . ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » (رو ٣ : ٢٣ ، ١٢) . وهكذا وقع حكم الموت على الجميع . واستد كل فم وصار العالم كله تحت قصاص من الله (رو ٣ : ١٩) . ولم تعد هناك وسيلة للخلاص غير نعمة الله

تفتقدنا . وقد افتقدتنا فعلا وخلصتنا بدم المسيح الذى به وحده الخلاص ٠

٣ ـ من أجل هذا قال معلمنا بولس الرسول : « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السابقة »(رو ٣:٢٥) ٠

وقال أيضاً : « الذى خلصنا ودعانا دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا، بل بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا » (٢ تى ١ : ٩) ٠

وقال أيضاً : « لا بأعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس »(تى ٣ : ٥،٤)٠

وقال أيضاً : « لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالايمان ٠ وذلك ليس منكم، هو عطية الله ٠ ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد » (أف ٢ : ٨) ٠

وقال أيضا : « فان كان بالنعمة ، فليس بعد بالأعمال ، والا فليست النعمة بعد نعمة » (رو ١١ : ٦) ٠

اننا نورد هذه الآيات التى يستخدمها البروتستانت ، ولا نخبئها ، لأننالا ننكر نعمة الله علينا ، ولا ننكر خلاص الله المجانى الذى أعطاه لنا ، ولا ننكر أننا كنا كلنا « أمواتاً بالذنوب والخطايا (أف ٢ : ١)، **ولولا دمه الأقدس لهلكنا جميعاً ٠**

ولكننا نضع هذه الآيات في موضعها الحقيقى، ونعترف أننا خلصنا بدم المسيح ٠

٤ ـ ولكننا نقول أن دم المسيح شيء ، واستحقاق دم المسيح شيء آخر ٠ ان دم المسيح كاف لمغفرة خطايا العالم كله ، فهل حظى العالم كله بالغفران ؟! لقد « أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد »(يو٣:١٦) فهل خلص العالم كله بهذا البذل ، أم خلص فقط (كل من يؤمن به) ؟

اذن فدم المسيح موجود ، مستعد أن يخلص ، وكاف للخلاص ، ولكن للخلاص شروطاً يجب أن تستوفي حتى يكون الخاطيء مستحقاً لهذا الدم الذى به الخلاص ٠ وهكذا أيضاً يقول يوحنا الحبيب في رسالته الأولى عن المسيح أنه « كفارة لخطايانا ٠ ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١ يو ٢ : ٢) ٠ كفارة المسيح اذن غير محدودة تكفى لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس في جميع الأجيال ، في الماضى وفي الحاضر وفي المستقبل ٠

ولكن مع وجود دم المسيح هناك أشخاص هلكوا، وأشخاص يهلكون، وأشخاص سيهلكون!ذلك لأن استحقاقات دم المسيح لها شروط معينة٠

شروط الخلاص بدم المسيح

أريد من جهة هذه الشروط أن أضع أمامكم أربعة أمور جوهرية جداً وهي :

١ ـ الايمان

٢ ـ المعمودية

٣ ـ الأسرار الكنسية اللازمة للخلاص

٤ ـ الأعمال الصالحة

الايمان

١ ـ شرط الايمان :

والايمان شرط أساسى لاستحقاق دم المسيح • وهكذا قال السيد المسيح عن نفسه : « ••• لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) •

وتظهر أهمية هذا الشرط لاستحقاق دم المسيح ، من قول الكتاب في نفس الاصحاح من فم السيد المسيح نفسه : « **الذى يؤمن به لا يدان • والذى لا يؤمن قد دين،** لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد» (يو ٣ : ١٨) •

ويظهر هذا الشرط أيضاً من قول يوحنا الرسول في خاتمة انجيله: « ••• وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، **ولكى تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه** » (يو ٢٠ : ٣١) • هناك شرط اذن وهو أن الخلاص يكون لكم اذا آمنتم •

وبهذا وعظ بولس الرسول في أنطاكية قائلا : « ••• انه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا • وبهذا يتبرر كل من يؤمن ••• » (أع ١٣ : ٣٨، ٣٩) •

وقد وضح ربنا يسوع المسيح أنه بدون شرط الايمان هذا لا يمكن أن يكون خلاص بقوله لليهود : « **ان لم تؤمنوا اني أنا هو تموتون في خطاياكم** » (يو ٨ : ٢٤) ٠

ما أخطر هذه العبارة « تموتون في خطاياكم » ! دم المسيح موجود، قادر أن يخلص ٠ ولكنه لا يمكن أن يخلصك بدونك ٠

يجب أن تقدم شرط الايمان ، لكى تخلص بدم المسيح ٠ انه الشرط الأول، ولكنه ليس الشرط الوحيد ٠ انه الخطوة التى تؤهلك للمعمودية ٠

شرط الايمان هذا ورد في قول بولس وسيلا لحافظ السجن « آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦ : ٣١) ٠

٢ ــ ما هو الايمان ؟٠٠

ان كلمة الايمان كلمة واسعة جداً جداً ، تدخل فيها أمور كثيرة ٠ وان كان بولس الرسول قد قال اننا «قد تبررنا بالايمان»(رو ٥ : ١١)، فماذا يقصد بهذا الايمان الذى قد تبررنا به ؟٠

لذلك يضع بولس الرسول أمامنا سؤالا خطيراً جداً في موضوع الايمان ٠ اذ يقول « **جربوا أنفسكم ، هل أنتم في الايمان ؟٠٠ امتحنوا أنفسكم** » (٢ كو ١٣ : ٥) ٠ اذن لا بد أن نختبر أنفسنا ونرى هل نحن حقاً في الايمان أم لا ٠ ما هو هذا الايمان ؟٠٠

ايمان حي ٠٠٠

ان الايمان اللازم للخلاص لا بد أن يكون ايماناً حياً ٠ وهذا الأمر وضحه على أكمل وجه معلمنا يعقوب الرسول اذ قال : « ان الايمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) ٠ وكرر هذا المعنى قائلا : «لأنه **كما أن الجسد بدون الروح ميت ، هكذا الايمان بدون أعمال ميت** » (يع ٢ : ٢٦) ٠

ومثل هذا الايمان الميت ، أى الخالى من الأعمال ، لا يقدر أن يخلص أحداً ٠ وهكذا يقول معلمنا يعقوب الرسول : « ما المنفعة يا اخوتي ان قال أحد أن له ايماناً ولكن ليس له أعمال ؟! **هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟!** » (يع ٢ : ١٤) ٠

حقاً أن الرسـول بولس قد قال اننا قد تبررنا بالايمان • ولكن هذا الايمان له صفتان هامتان• ايمان حي وايمان عامل • وفي هاتين الصفتين كلتيهما نرى الأعمال الصالحة •

ولا نظن احداً من البروتستانت ـ مهما أنكر الأعمال ـ يستطيع في أمر الخلاص أن يعلم بالايمان غير العامل • فالرسول يقول : « ان الشياطين يؤمنون ويقشعرون » (يع ٢ : ١٩) •

فهل تقصد بالايمان أيها الأخ ايماناً من نوع ايمان الشياطين الذين ليست لهم أعمال صالحة، وانما هم يؤمنون، ويقشعرون من هول شرورهم وفسادهم ؟!!•••

ان عبارة الايمان الحي العامل قد تتسع في مداها حتى تشمل الحياة الروحية كلها كيف يمكن أن تشمل الحياة الروحية كلها ؟•• أميلوا آذانكم أيها الاخوة الأحباء الى قول الرسول •

الايمان العامل بالمحبة ••

قال بولس الرسول : « لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦) **فماذا تعني صفة « العامل بالمحبة » ما هي هذه المحبة ، وكيف تكون ؟••**

ان هذه المحبة شرحها بولس الرسول ، مستدلا عليها بجمهرة من الأعمال الصالحة ، اذ قال : « المحبة تتأنى وترفق • المحبة لا تحسد • المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ، ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها، ولا تحقد، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء، وتصـدق كل شيء ، وترجـو كل شيء ، وتصـبر على كل شيء » (١ كو ١٣ : ٤ ـ ٧) •

فاذا كان الايمان هو هـذا الايمان العامل بالمحبة ، فانه سيشمل ولا شك هذه الصفات كلها ، وكلها أعمال • هنا تبدو المسـيحية في جوهرها ، أنها ليست مجرد آية ، وانما هي روح وحياة (يو٦:٦٣)• حقاً كما قال الكتاب أن الحرف يقتل ولكن الروح يحيي ••• الحرف يقول لك أن هناك شيئاً اسمه الايمان • وأما الروح فيشرح لك كنه الايمان وانه يشمل الأعمال الصالحة كلها •

فهل اخوتنا المعارضون يقصدون الايمان بهذا المعنى الواسع الذى يشمل الحياة الروحية كلها . وهل يقصدون الايمان بالمعنى الكبير الذى أشار اليه بولس الرسول فى الاصحاح الحادى عشر من الرسالة الى العبرانيين عند حديثه عن رجال الايمان ؟ .. أم هم يقصدون مجرد الايمان خلوا من صفاته السابق ذكرها !؟.

ان كان الأمر هكذا فلنتناقش ، لكى ما ترى هل يقدر هذا الايمان أن يخلصهم حسبما تعجب يعقوب الرسول .

٣ ـ الايمان والمحبة ...

ان الذين يقولون أن الايمان وحده هو الذى يبرر الانسان ، ويوقفون الايمان كعنصر قائم بذاته بعيداً عن الأعمال ، هؤلاء لا أوقفهم أنا ، بل يوقفهم بولس الرسول أمام آية جبارة هى قوله : **« ان كان لى كل الايمان حتى انقل الجبال وليست لى محبة فلست شيئاً»** (١ كو ١٣ : ٢) .. فهل تريدون ايماناً أكثر من هذا ؟..

وأنت أيها الأخ ، مهما ارتفعت فى الايمان ، ما هى أقصى درجة ستصل اليها ؟.. **هل ستصل الى كل الايمان الذى ينقل الجبال ؟.. صدقنى ، حتى لو وصلت الى هذه الدرجة أيضاً ، وليست لك محبة ، فلست شيئاً** ! لا يستطيع هذا الايمان أن يخلصك أنت ..! .. ان كان بولس الرسول بكل ايمانه ليس شيئاً بدون المحبة ، فكم بالأولى أنت .

لهذا قال الرسول وضع المحبة **فى درجة أعظم من الايمان** . اذ قال : « أما الآن فيثبت الايمان والرجاء والمحبة ، هذه الثلاثة وأعظمهن المحبة » (١ كو ١٣ : ١٣) .

٤ ـ المؤمنون ، والمختارون :

قلنا ان الايمان ينبغى أن يكون ايماناً حيا وايماناً عاملا بالمحبة ولكن البعض يبالغ أحياناً فى تعريف كلمة المؤمنين ، حتى ترادف كلمة « المختارين » .

وهكذا ينادى أمثال هؤلاء بأن المؤمن لا يمكن أن يهلك ، واذا سمعوا أو قرأوا عن مؤمن قد هلك يقولون ان هذا لم يكن مؤمناً حسب مفهومهم الخاص !! لا شك أن المختارين لا يمكن أن يهلكوا . ولكن من قال ان المؤمنين هم المختارين ؟!.

ان الكتاب المقدس أعطانا معاني كثيرة لكلمة الايمان : فذكر مرة: **الشياطين يؤمنون ويقشعرون** (يع ٢ : ١٩) . وقال بولس الرسول في تعريفه للايمان أنه هو الثقة بما يرجى والايقان بأمور لا ترى (عب ١١ : ١) .

وقد شرح لنا الكتاب أن هناك نوعاً من **الايمان الميت** . ومع أنه ميت الا أن الرسول سماه ايماناً . كما أعطانا مثلا عن الايمان الخالي من الأعمال الذى لا يقدر أن يخلص أحداً (يع ٢ : ٢٠ ، ١٤). ومع أنه لا يقدر أن يخلص أحداً ، الا أن الرسول سماه ايماناً .

وقد ذكر الكتاب أن الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله (رو ٣ : ١٢) ، فهل الجميع لم يكونوا مؤمنين ، وقد خلت الأرض من الايمان؟! أم أن الله أطلق لقب الايمان حتى على الذين يخطئون وهم مؤمنون .

ان أمثال هؤلاء الخطاة لم يحرمهم الرب من لقب المؤمنين . فقد قال الرب على لسان أرميا النبى « شعبى عمل شرين: تركونى أنا ينبوع المياه الحية ، لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشققة لا تضبط ماءاً ... شعبى قد نسينى أياماً بلا عدد » (أر ٢ : ١٣ ، ٢٢) . ومع كل هذا سماهم شعبه . كما قال على لسان أشعياء النبى :« ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا على » (أش ١ : ٢) فعلى الرغم من عصيانهم سماهم بنين . ويذكرنا هذا بما قاله عن الابن الضال «ابنى هذا كان ميتاً فعاش وكان ضالا فوجد » (لو ١٥ : ٢٤) . **فعلى الرغم من ضلاله وموته الروحي سماه ابناً .**

وفي قول الرسول «وان كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال وليست لى محبة فلست شيئاً » (١ كو ١٣ : ٢) . دليل آخر على اطلاق حالة الايمان على الانسان الخالى من المحبة الذى هو ليس شيئاً .

بل ان الرب أطلق لقب المؤمنين على الذين يشبهون البذار التى سقطت على الصخر ولما نبتت جفت . فقال : « والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح وهؤلاء ليس لهم أصل ، **فيؤمنون الى حين ، وفي وقت التجربة يرتدون** » (لو ٨ : ١٣،٦) .

وطبعاً هؤلاء المرتدين لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أن السيد المسيح له المجد لقبهم بأنهم كانوا مؤمنين الى حين . ويشبه هؤلاء طبعاً

الذين قال عنهم الرسول : « ولكن الروح يقول صريحاً أنه في الأزمنة الأخيرة **يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين » (١ تي ٤ : ١) • وطبعاً هؤلاء لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أنهم عاشوا في الايمان قبل أن يرتدوا •**

لعله قد وضـــح الآن كثيراً بأن هنـــاك فرقاً بين الكلمتين • **ان كل المختـارين مؤمنون ولكن ليس كل المؤمنين مختـارين ، اذ قد يرتد بعضهم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين •**

على أن هذه النقطة أيها الأحباء لنا رجعة اليها بعد حين ، نتركها الآن قليلا لكي نتحدث عن الشرط الثاني للخلاص والمدخل الأساسي له وهو المعمودية •

المعمودية

أهمية المعمودية للخلاص

تظهر أهمية المعمودية من قول السيد المسيح لنيقوديموس « الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » (يو ٣ : ٣) • وقد شرح معنى هذه الولادة ، فأجاب على سؤال نيقوديموس بقوله «الحق الحق أقول لك : **ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) •**

وهذه آية صريحة تعني أنه بدون المعمودية لا يقدر الانسان أن يدخل الى الملكوت ، ولا يقدر أن يعـاينه • وبهذا يكون الخلاص عن طريق المعمودية التي يمهد لها الايمان •

وهكذا قال السيد المسيح في صراحة ووضوح «**من آمن واعتمد خلص**» (مر ١٦ : ١٦) • وهكذا أيضاً عندما أرسل تلاميذه لنشر ملكوته على الأرض قال لهم « **فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به**» (مت ٢٨ : ١٩، ٢٠) • وهذه الآية تدل على أن الخلاص يلزمه الايمان الذي يأتي بالتلمذة ، والمعمودية التي هي الباب المبـاشر ، والأعمال الصالحة بحفظ الوصايا • فلو كانت المعمودية غير لازمة للخلاص ، لكان يكفي أن يقول الرب لتلاميذه : « اذهبـوا وبشروا بالايمان » بدون ذكر للمعمودية •••

ومعلمنا بولس الرسول يشرح كيف أن الخلاص يكون بالمعمودية ، وكيف أنها هى الميلاد الثانى ، بقوله في رسالته الى تلميـــذه تيطس أسقف كريت ، حيث يقول«ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه، لا بأعمال في بر عملناها نحن،بل بمقتضى رحمته **خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس** » (تى ٣ : ٤ ، ٥) ٠

ممارسة المعمودية منذ البدء

هذا المبدأ الذى أسسه السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » اتبعته الكنيسة منذ البـدء ، ففى يوم الخمسين بعد أن وقف بطرس الرسول رافعاً صوته بكلمة الايمان ، ونخس السامعون في قلوبهم ، « قال لهم بطرس : **توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يســـوع المسيح لغفران الخطايا**،فتقبلوا عطية الروح القدس »(أع٢:٣٧،٣٨)٠ وهذه الآية صريحة في أنه يكون بالمعمودية مغفرة الخطايا ٠ وكيف يخلص الانسان بدون مغفرة خطاياه ؟! **اذن فالمعمودية لازمة لخلاص الانسان ، فيها تغفر خطاياه ٠ وبها يمهد لقبول الروح القدس ٠**

وعطية الروح القدس ، تنالها في السر الثانى من أسرار الكنيسة ، سر المسحة المقدسة ، أو سر الميرون ٠والآية السـابقة تدل على هـذه المعانى كلها ٠

في يوم الخمسين بعد أن تكلم بطرس عن المعمودية « قبلوا كلامه بفرح ، واعتمدوا ، وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » ٠ **فلو كان الايمان وحده يخلص الانسان ماذا كانت الحاجة الى أن يعتمد في يوم واحد ٣٠٠٠ نفس** ؟! ما كان أسهل أن يقول لهم الرســـل : « ما دمتم قد آمنتم أيها الاخوة ، فاذهبوا على بركة الله ، هذا يكفى ، لقد خلصتم وانتهى الأمر ٠٠ » !!٠

وهكذا نرى أيضاً أن **الخصى الحبشى** بعد أن آمن على يد فيلبس ، قال له مباشرة ماذا يمنع أن أعتمد ؟ » (أع ٨ : ٣٦) ٠ وهكذا نزل به فيلبس الى الماء فعمده ٠٠ وذهب في طريقه فرحاً ٠

وسجان فيلبى الذى آمن على يدى بولس وسيلا « اعتمد في الحال هو والذين له أجمعين » (أع ١٦ : ٣٣) ٠

وكرنيليوس أيضاً الذى ظهر له ملاك الله ، وقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكاراً أمام الله ، هو أيضاً بعد أن كلمه بطرس بكلمة الحياة ، وبعد أن حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة « حينئذ أجاب بطرس : أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضاً وأمر أن يعتمدوا باسم الرب » (أع ١٠ : ٤٧،٤٩) .

وليديا بائعة الأرجوان ، لما آمنت على يد بولس الرسول « اعتمدت هى وأهل بيتها » (أع ١٦ : ١٥) .

جميلة تلك العبارة التى قالها بولس الرسول عن العماد « **لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح** » (غلا ٣ : ٢٧) . اذن فى المعمودية يلبس الانسان المسيح . أى خلاص أعظم من هذا ..

ان المعمودية هى الباب الذى يدخل منه الانسان الى الخلاص ، **والايمان تمهيد لها** .

نقول هذا لأن كثيراً من البروتستانت يظنون أن الانسان يكفيه ايمانه ليخلصه !.. أو يظنون أن الميلاد الثانى يأتى بالايمان وليس **بالمعمودية ! لا يرون أن المعمودية هى الميلاد الثانى ، على الرغم من صراحة الآية بغسل الميلاد الثانى (تى ٣ : ٥) !!.**

وأيضاً على الرغم من قول الرسول فى رسالته الى أفسس « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، **لكى يقدسها مطهراً اياها بغسل الماء بالكلمة** ، لكى يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها » (أف ٥ : ٢٥،٢٦) .

« لكى يقدسها مطهراً اياها بغسل الماء بالكلمة » .. البروتستانت العبارة معناها يقدسها بالكلمة ! تاركين ومن اليهم يدعون أن هذه عبارة غسل الماء كأن لا معنى لها ..

ان « الكلمة » هنا تعنى التبشير . فماذا تعنى عبارة « غسل الماء » ؟ تعنى المعمودية التى يصل اليها الانسان بالتبشير أى بالكلمة . وهكذا تنطبق وصية السيد المسيح « تلمذوهم ... وعمدوهم ... » . « تلمذوهم » بالكلمة . « وعمدوهم » بغسل الماء .

شرح « أهمية المعمودية » لاهوتيا

ما هو جوهر التعليم المسيحي عن المعمودية كوسيلة للخلاص · لماذا هي لازمة للخلاص ؟ ولماذا لا يمكن لأحد أن يخلص بدونها ؟ المسألة واضحة جداً ، نشرحها فيما يلي :

يقول الكتاب « أجرة الخطيئة هي موت » رو ٦ : ٢٣) اذن لا بد من الموت ، ولا بد أن طريق الخلاص يبدأ بالموت ·· ويستمر الخلاص بالموت ··· وآخر مرحلة للخلاص تأتي بالموت · يبدأ الخلاص بالموت، وينتهي بالموت ، ويستمر بالموت ، لأن أجرة الخطيئة هي موت · **فما** معنى هذا الكلام ·

أ ـ بدأ الخلاص بالموت :

بدأ الخلاص بموت المسيح على الصليب ، حيث دفع ثمن الخطيئة ، واشترانا بدمه · وكيف يصل اليك الخلاص ؟ يصل اليك بالموت · وكيف ذلك ؟·· المسيح بموته أعطى الخلاص · **ولكي يكون لك أنت نصيب في هذا الخلاص ، لا بد أن تشترك مع المسيح في موته :** تموت مع المسيح ، وتقوم معه ، لكي تتمجد معه · ولذلك يقول بولس الرسول «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه، متشبها بموته»(في٣:١٠)·

ان لم تدخل في هذا الموت ، يلحقك الموت الثاني الذي هو العذاب الأبدي في بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٤) ·

وكيف تدخل في هذا الموت ؟ كيف تشترك مع المسيح في موته ؟ ان ذلك يتم بالمعمودية · ولهذا يقول بولس الرسول « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح ، **اعتمدنا لموته · فدفنا معه بالمعمودية للموت ·· (رو ٦ : ٣،٤) ·**

وموتنا مع المسيح ، ودفننا معه ، هو الذي يجعلنا نشترك معه في أمجاد قيامته · ولذلك يقول بولس الرسول « لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضاً بقيامته ··· فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ ٥،٨) ·

نلخص الموضوع اذن في الكلمات الآتية :

أجرة الخطيئة هي موت • فلا بد أن يموت الانسان ويدفن ••• ولكن المسيح قد مات عنا • وعلينا أن نشترك معه في موته ، حتى لا تكون بعيدين عن استحقاقات موت المسيح • لا يجوز أبداً أن نترك المسيح يموت وحده عنا ، دون أن نشترك معه في موته ، أو على الأقل نتشبه بموته ، ندخل في « شركة آلامه متشبهين بموته » وهكذا قال الرسول : « **متنا معه •• دفنا معه •• قد صرنا متحدين معه بشبه موته •• انساننا العتيق قد صلب معه •• فان كنا قد متنا مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٣-٨) •**

وهذا الموت شرحه الكتاب أنه يتم بالمعمودية • نغطس فيها تماماً كأننا ندفن في جرن المعمودية ، كما قال بولس : « دفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦ : ٤) • ثم نقوم من هذا الماء « في جدة الحياة » « عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب ليبطل جسد الخطيئة » •

المعمودية اذن لازمة للخلاص ، لأنها شركة في موت المسيح ، لأنها ايمان بالموت كوسيلة للحياة ، واعتراف بأن أجرة الخطيئة هي موت • ان الذين يقولون أن الخلاص يتم بمجرد الايمان وحده ، بدون معمودية ، لم يفهموا بعد ما هو الايمان • فلنحاول أن نناقش الأمر معاً لنفهمه •

ما هو الايمان ؟•• هو أن تؤمن أن الخطيئة أجرتها الموت، وتؤمن ان المسيح قد مات عنك ، وتؤمن أنك يجب أن تموت معه لتحيا أيضاً معه ••• وهكذا يقودك الايمان الى ما قلناه :

قلنا ان الخلاص قد بدأ بالموت • موت المسيح • هذا هو الخلاص الذى قد دفع ثمنه،وقلنا أننا بدأنا أن نحصل على هذا الخلاص بالموت، اذ متنا مع المسيح ودفنا معه بالمعمودية • هذا هو الخلاص الذى نلناه•

نقول أيضاً أن هذا الخلاص يستمر بالموت •

ب ــ يستمر الخلاص بالموت :

وهكذا يقول بولس الرسول : «كذلك أنتم أيضاً، احسبوا أنفسكم **أمواتاً عن الخطيئة** ، ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ••• اذن

لا تملكن الخطيئة في **جسدكم المائت** لكي تطيعوها في شـــــهواته » (رو ٦ : ١٢،١١) .

هذا الكلام جميل جداً ، يشرح لنا الايمان الأرثوذكسي تماماً . « لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت » . لقد دخلنا الخلاص بالموت . ولا بد أن يستمر جسدنا مائتاً عن الشهوات العالمية . **وطالما هو مائت ، فان الخلاص يسرى فيه . أما ان بدأت شـهوات الجسد تقوم من هذا الموت وتتحرك ، فاننا نكون حينئذ عرضة لأن نفقد الخلاص، لأن الخلاص لا يتم الا بالموت .**

لذلك فاننا نصلى الى الله في قطع الساعة التاسعة ونقول : « أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح الهنا ونجنا » .

ولعل هذا تنفيذ لقول الكتاب : « ولكن ان كنتم بالروح **تميتون أعمال الجسد** فستحيون » (رو ٨ : ١٣) .

ألا يقول بولس الرسول : « **اذن الموت يعمل فينا** »(٢كو ٤:١٢) .

وهكذا يقول بولس الرسول أيضاً « لأننا نحن الأحياء نسلم دائماً للموت من أجل يسوع، لكى تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت» (٢ كو ٤ : ١١) . ويقول أيضاً : « ان كان المسيح فيكم **فالجسد ميت** بسبب الخطيئة ، وأما الروح فحياة بسبب البر » (رو ٨ : ١٠) . كما يقول أيضاً : « اننا من **أجلك نمات كل النهار** . قد حسبنا مثل غنم للذبح »(رو ٨:٣٦) . وهكذا نعيش «حاملين في الجسد كل حين **اماتة الرب يسـوع** ،لكى تظهر حيـاة يسـوع أيضاً في جسـدنا » (٢ كو ٤ : ١٠) .

اذن طالما نسير في طريق الخلاص لا بد أن يكون الجســد ميتاً عن الخطيئة ، لا بد أن يعمل الموت فينا . **انسـان يقول انه قد خلص ، وهو يحب العالم** أو **الأشياء التى في العالم ، هذا بالحقيقة واهم « لأن محبة العالم عداوة لله** » (يع ٤ : ٤) .

ان الخلاص يستمر بالموت ، موت أعمال الجسد ، موت شــهوات الجسد ، موت عن العالم والمادة ومتطلباتها المحاربة للروح .

ما معنى « نخلص بحياته » ؟..

هنا تقف أمامنا الآية التي تقول : « لأنه ان كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » (رو ٥ : ١٠) . ما معنى « نخلص بحياته » ؟ ..

اما أن يكون معناها أننا نخلص بحياته كشفيع ، ككاهن الى الأبد على طقس ملكي صادق « يقدر أن يخلص أيضاً الى التمام الذين يتقدمون به الى الله ، اذ هو حي كل حين **ليشفع فيهم** »(عب ٧ :٢٥). فنحن نخلص بحياته كشفيع . لأننا باستمرار نخطىء . وان أخطأنا « فلنا شفيع عند الآب ، يسوع المسيح البار » (١ يو ٢ : ١) .

ونلاحظ هنا أن استمرار شفاعة المسيح فينا ، معناه استمرار احتياجنا الى الخلاص في كل حين ، واستمرار عمل الخلاص فينا .

على أن هناك معنى جميلا آخر لعبارة نخلص بحياته . وهو قول بولس الرسول : « مع المسيح صلبت، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » (غلا ٢ : ٢٠) يقول : « مع المسيح صلبت » ، هذا هو الموت،«صلب الجسد مع الأهواء والشهوات » كما يقول الرسول (غل ٥ : ٢٤) . بهذا نخلص، عندما يكون المسيح هو الذى يحيا فينا . **وعبارة « أحيا لا أنا » معناها تسليم الارادة تسليماً كاملا للرب** . بحيث يقول الانسان باستمرار : « لتكن لا ارادتي بل ارادتك » . يكون كأنه ميت ، غير موجود ، يحيا لا هو ، بل المسيح هو الذى يحيا فيه .

يقول للمسيح : « انني أخلص بموتك ، وأخلص بحياتك في » . وهذه هي الفكرة السليمة عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي : **نحن قد خلصنا بموت المسيح عندما متنا معه في المعمودية . ونخلص أيضا بحياة المسيح فينا ، بتسليمنا الكامل لمشيئته في حياتنا ،** قائلين مع الرسول : « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » .

ج ـ يتم الخلاص بالموت :

قلنا ان الخلاص يبدأ بالموت في المعمودية، ويستمر بالموت عن شهوات العالم . فالى متى ؟.. يقول الكتاب : « كن أميناً الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) . **وهكذا يستمر الموت يعمل فيك ، حتى**

يموت الجسد فعلا . طالما أنت تميت أعمال الجسـد ، فانت ما تزال سائرا في الخلاص . ومتى تصل الى نهاية الطريق؟.. تصل اليها عندما تموت ، وتنتقل الى العالم الآخر .

أنت اذن ما تزال سائراً في الطريق . فهل تقف في نصفه وتصيح قائلا « قد خلصت » ؟! تواضع يا أخي ، واستمع الى قول الرسول : « انظروا الى نهاية سـيرتهم » (عب ١٣ : ٧) . لا تفتخر باطلا ، فكثيرون قد بدأوا بالروح وكملوا بالجسد (غل ٣ : ٣) .

على أننا سنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل ان شاء الله عندما نتكلم عن اتمام الخلاص .

الأسرار اللازمة للخلاص

هنـاك أسرار قد لا تلزمك شخصياً لخلاصـك . فأنت لا تتزوج ، وان كنت ثمرة لزواج . وقد لا تصـاب بمرض تحتـاج فيه الى سر مسحة المرضى . وقد لا تصير كاهناً وان كنت تحتـاج لسر الكهنوت ليقدم لك عمل الروح القدس في الأسرار اللازمة لك شخصياً لخلاصك . فانت يلزمك بلا شك سر المعمودية ، وقد تحدثنا عنه ـ كذلك يلزمك سر مسحة الروح القدس (الميرون) ، وسر التوبة ، وسر الافخارستيا (التناول) .

وسنتكلم الآن عن أهمية كل من هذه الأسرار على حدة :

سر المسحة المقدسة

ولما دعا بطرس اليهود للمعمودية ، قال لهم : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسـوع المسـيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢:٣٨) . فما هى عطية الروح القدس هذه ؟.. وهل هى لازمة في حياتنا للخلاص وما أهميتها وهل يمكن أن نخلص بدونها .

لا يمكن اطلاقا أن نخلص بدونها ، لأن حياتنا الروحية كلها هى عبارة عن استجابة ارادتنا لعمل الروح القدس فينا . وان كنا لا نأخذ

عطية الروح القدس ، فباطلة وهالكة هي كل حياتنا عن هذه النعمة التي أخذناها من سر المسحة المقدسة نصرخ باستمرار ونقول : «روحك القدوس لا تنزعه منا ، » ، والا هلكنا ٠

ان حيـــاتك الروحية لا تعتمد مطلقا على ذراعك البشرى ، وانما هي شركة الروح القدس كما سنشرح في الفصل الخاص بالجهاد والنعمة ٠

لا بد اذن من سر المسحة المقدسة، تلك التي تكلم عنها يوحنا الرسول فقال : « وأما أنتم فلكم مسـحة من القدوس وتعلمون كل شيء » ٠ « **وأما المسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم** ، ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد. بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء،وهي حق» (١ يو ٢ : ٢٠، ٢٧) ٠

لكي تعرف أهمية الروح القدس لخلاصك ، نسأل سؤالا وهو : هل تستطيع أن تحيا حيـاة روحية بدون عمل الروح القدس فيك ؟٠٠ هل تستطيع أن تسـير في طريق الخلاص بدون عمل الروح القدس معك ؟٠٠ لا يمكن ٠ اذن لا بد من المسحة ٠

لذلك اهتم الرسل بعطية الروح القدس للمؤمنين، وكانوا ينالونها في بادىء الأمر بوضع أيدي الرسل ، قبل أن يستخدم الميرون ٠

نرى ذلك واضحا في قصة ايمان السامرة ، حيث اعتبرت مكملة للايمان والعماد ، يقول الكتاب : « ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا ، اللذان لما نزلا صليا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم،غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع٠ حينئذ وضعا الأيادي عليهم ، فقبلوا الروح القـدس » (أع ٨ : ١٤ـ١٧) ٠٠ اذن لم تكن المعمودية كافية لأهل السامرة، بل كان لابد لهم أن يقبلوا الروح القدس ٠

نفس الكلام أيضـــا يمكن أن يقـال عن ايمان أهل أفسس ٠ لما ذهب بولس هنـاك وجد تلاميـذ ٠ فقال لهم : « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟٠٠ قالوا له ولا سمعنا أنه يوجـد الروح القدس » (أع ١٩ : ٢، ٣) اذ كانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا فقط ٠ فلما

كلمهم بولس : « اعتمدوا باسم الرب يسوع • ولما وضع بولس يديه عليهم • حل الروح القدس عليهم » •

اننا بالمعمودية نشترك مع المسيح في موته ، وننال البنوة • وبالروح القدس نحيا الحياة اللائقة بنا كبنين وكلا الأمرين لازم لخلاصنا •

سر الافخارستيا "التناول"

لكي ندرك أهمية التناول من جسد الرب ودمه ، يكفي من باب الاختصار أن نتذكر قول المسيح : « الحق الحق أقول لكم ! **ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم** • من يأكل جسدي ويشرب دمي ، فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير ••• من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه »(يو ٦ : ٥٣ـ٥٨)• هنا نرى الحياة الأبدية متعلقة بالتناول من جسد الرب ، بحيث أن الذي لا يتناول لا تكون له حياة ، أي يهلك ••• أتسأل بعد هذا عن لزوم التناول للخلاص ؟!•

ان كنا أرثوذكس ونؤمن بالايمان الأرثوذكسي ، فنحن اذن نؤمن بما نقوله في القداس الالهي عن جسد الرب الذي نتناوله :« **يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه** » • أيسأل أحد ويقول : « هل ممكن الخلاص بدون تناول ؟ » أقول كلا ، لا يمكن • لأن جسد الرب يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه •

فكيف نشرح هذا من الناحية اللاهوتية ؟••

ان المعمودية قد خلصتك من الخطيئة الأصلية ، وهذا هو الخلاص الأول الذي نلته • والمعمودية قد صيرتك ابناً لله وجعلتك مستحقاً لنوال استحقاقات الدم • ولكنك في كل يوم تخطيء ، وتحتاج أن تمحى خطيئتك بالدم « ان قلنا أنه ليس لنا خطيئة ، نضل أنفسنا وليس الحق فينا » (١ يو ١ : ٨) •**أنت اذن في كل يوم تخطيء ، وتحتاج الى جسد المسيح المذبوح عنك • تحتاج الى الذبيحة المقدسة كفارة لخطاياك • وما الذبيحة المقدسة في سر الافخارستيا سوى امتداد**

لذبيحة المسيح • لذلك لا يمكن أن تخلص من خطاياك بدونها ، هذه التي تعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا • كما أن بها نثبت في الرب كما قال •

قد يأتيك انسان ويقول لك : أتريد أن تخلص ؟•• اطرح نفسك تحت قدمي المسيح، وقل له: اقبلني يا يسوع !! هذا الكلام يا اخوتي يحتاج الى اجراءات تنفيذية ••• **أتريد أن يقبلك المسيح ؟•• هناك طريق للخلاص يقبلك به** : تموت مع المسيح وتدفن معه بالمعمودية فيقبلك • تمسح بالروح القدس فيقبلك • تأكل جسده وتشرب دمه لكي تثبت فيه وبهذا يقبلك • تعترف بخطاياك فيقبلك ••• **هذا هو الطريق العملي الذي يقبلك به الرب•اما أن تطلب منه قبولك دون أن تسير في طريقه الذي رسمه ، فهذا كلام غير لائق •**

وبالمثل نقول عن عبارة « سلم حياتك ليسوع » ••••! ما أسهل أن يلفظ انسان مثل هذا الكلام ، وما أصعب أن ينفذه ••••! هل تظنون تسليم الحياة شيء هين ؟! ان كل جهادنا الروحي يتركز في هذه العبارة « تسليم الحياة » ! ففيها يسلم الانسان ارادته للرب ، ويسلم قلبه وعواطفه ، ويسلم عزيمته ، ويسلم فكره ••• أي يعمل أعمالاً تليق بالتوبة •

وان كنا نتكلم عن سر الافخارستيا فلا بد أن نسبقه بكلام عن سر التوبة •

سر التوبة

هل تلزم التوبة للخلاص ؟•• نعم بل انه بدون التوبة لا يكون لك خلاص ••• لعلك تسأل : كيف هذا ؟•• انني آمنت وتعمدت وتبررت ••• **نعم انك قد تعمدت ، ونجوت من الخطيئة الأصلية ، ولكن ماذا عن خطاياك الفعلية التي ترتكبها كل يوم،أين تهرب منها؟• وكيف تهرب منها ؟•**

هل الايمان والمعمودية يجعلانك لا تخطىء بعدهما أبداً ؟! • كلا، بلا شك • هوذا يوحنا الرسول يقرر بأنه «**ان قلنا انه ليس لنا خطيئة نضل أنفسنا وليس الحق فينا**» (١يو ١ : ٨) • وذلك لأنه « ليس

أحد صالحاً الا واحد وهو الله » (مت ١٩ : ١٧) ٠ « لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا » (يع ٣:٢) ، وليس أحد بلا خطيئة ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض كما نصلي في أوشية الراقدين ٠٠٠ فماذا نقول عن هذه الخطايا كلها ؟٠٠ كيف يخلص منها الانسان ؟٠٠ أليس بالتوبة ؟٠٠

لعل أحد يهمس في أذنك قائلا :« آمن فقط ٠٠٠ آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » ٠٠٠!! ان هذه الآية أيها الأخ الحبيب قد قلناها فيما مضى قبـــل المعمودية ٠ **أما عن خطاياك بعـد المعمودية فينصحك بخصوصها يوحنا الرسول قائلا :« ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم »(١يو١:٩)٠** وعنها يقول الكتاب : « من يكتم خطاياه لا ينجح ٠٠ ومن يقر بهـا ويتركها يرحم » (أم ٢٨ : ١٣) ٠٠٠ من أجـل هذا وضـعت لنـا الكنيسة المقدسة سر التوبة ٠

فما دام الانسان المؤمن معرضـاً للسقوط في كل وقت ، ومعرضاً للهلاك بخطيئته على الرغم من ايمانه ، **وما دام الانسان في حرب دائمة ضد الخطيئة كثيراً ما يزل فيها ويعثر ويسقط كل يوم ، لذلك وضع الله لنا التوبة نتجدد بها ونتطهر ونغتسل من خطيتنا** ٠ والتوبة عمل لا ينكر أحد من البروتستانت أهميته ولزومه ويدخل في التوبة الندم والنوح والاعتراف والعزيمة على ترك الخطيئة ، وكلها أعمال ٠

لا أقول انه بالتوبة وحـدها يخلص الانســان ، فالتوبة بدون دم المسيح لا فائدة منها ٠ ولكنى أقول ان التوبة تجعل الانسان مستحقا لأن يغتسل ويتطهر بدم المسيح فيخلص ٠ دم المسيح مثل كنز عظيم ، ولكننا نقترب اليه بالتوبة ، ونأخذ منه فنغتني ٠ أما اذا لم نستعمل التوبة ، فان الكنز يبقى كنزاً محتفظاً بقيمته ، ونبقى نحن بعيدين عنه ، فقراء نهلك جوعاً ٠ حنان الآب موجود، والثوب الجديد موجود، والعجل المسمن موجود ، ولكن على الابن الضـال أن يقترب الى الآب بالتوبة ليحظى بكل هذه ٠٠٠ فلنعترف اذن بأن : « الله أعطى الأمم التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) ٠

ان أهميـــة التوبة يوضحها قول الســـيد المســـيح له المجد : « ان لم تتـــــوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) ٠

فهذه الآية تدل على أن التوبة وسيلة للخلاص تنجى من **الهلاك** ، وتدل أيضاً على أنه بدون التوبة يهلك الانسان الخاطىء . « فالله الآن يأمر جميع النـــاس في كل مكان أن يتـــوبوا متغاضـــياً عن أزمنـــة **الجهل** » (أع ١٧ : ٣٠) . وليس أن يتوبوا فقط ، وانما يتبع ذلك أيضاً أن يعملوا « أعمالا تليق بالتوبة » (أع ٢٦ : ٢٠) .

هذه التوبة ينـــادى بها الرسل والقديســـين كوسيلة للخلاص من الهلاك المعد للخطاة. فبطرس الرسول يقول عن الله أنه « يتأنى علينا، وهو لا يشـــاء أن يهلك أناس ، بل أن يقبـــل الجميع الى التـــوبة » (٢ بط ٣ : ٩) . فهنا مقـــابلة بين التوبة والهلاك ، تعنى أن من يقبل الى التوبة يخلص وينجو من الهلاك ، والعكس بالعكس ...

وبولس الرسول يشرح الغضب المعد لغير التائبين الذين يتمرضون لدينونة الله العادلة فيقول : « أم تستهين بغنى لطفه وامهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله انما يقتادك **الى التوبة . ولكنه من أجل قســـاوتك وقلبك غير التـــائب تذخر لنفسك غضـــباً ليوم الغضب** واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٤ـ٦) .

هـــذه التوبة لم يطلبها الله من الأمم فقط ومن غـــير المؤمنين ، **وانما طلبها أيضـــاً في ســـفر الرؤيا من ملائكة كنائس آســـيا .** فقال لملاك كنيســـة أفسس « فاذكر من أين ســـقطت وتب ، واعمل الأعمال الأولى . والا فاني آتيـــك عن قريب وأزحزح منـــارتك من مكانها ان لم تتب » (رؤ ٢ : ٥) . كما طلب التوبة أيضاً من ملاك كنيســـة برغامس (رؤ ٢ : ١٦) . وقال لملاك كنيســـة ساردس : « فاذكر كيف أخـــذت وسمعت واحفظ وتب . فاني ان لم تسهر أقدم عليك كلص ، ولا تعلم آية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٣) . وقال أيضاً لملاك كنيسة لاودكيا : « كن غيوراً وتب » (رؤ ٣:‏١٩) .

لا تظن يا أخى ان خطية آدم وحده هى التى كانت تستحق الموت . وانما عمـــوماً أجرة الخطيـــئة هى موت . وكل خطيـــة ترتكبها بعـــد معموديتك يمكن أن تكون سبباً في هلاكك ان لم تتب .

وسر **التوبة في الكنيسة يسمى أيضاً** سر **الاعتراف . فانت تحتاج أن تاتى وتقر بخطاياك لكى تأخذ عنها حـــلا من الكاهن فتغفر لك .**

وقد مارست الكنيسة المقدسة سر الاعتراف منذ البدء • ففى أيام الرسل يقول الكتاب : « كان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم »(أع ١٩ : ١٨) • وحتى قبل الرسل يقول الكتاب عن يوحنا المعمدان : « واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم » (مت ٣ : ٦) •

في طريق خلاصك اذن ، ليتك تستفيد من قول السيد المسيح لتلاميذه : « ••• اقبلوا الروح القدس • من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٢،٢٣) •

الأعمال الصالحة

تكلمنا الآن عن الخلاص بدم المسيح، وكيف أن استحقاق دم المسيح يلزم له الايمان والمعمودية ، وسر المسحة المقدسة ، وسر التوبة، وسر الافخارستيا• وبقي أن نتحدث عن الأعمال ومركزها في قضية الخلاص• وقد أفردنا لهذا الموضوع فصلا خاصا لأهميته •

★ ★ ★

الفصل الثانى

اهمية الأعمال
فى موضوع الخلاص

مقـــدمة :

أعمال الانسان اما صالحة واما شريرة · فالأعمال الشريرة تهلك الانسان وتفقده خلاصه · أما الأعمال الصالحة فهى لازمة للخلاص · عدم وجودها يدل على أن الايمان ميت ، وعلى أنه لا ثمرة له · ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفى للخلاص بدون ايمان وبدون معمودية وبدون استحقاقات دم المسيح ·

هـذه الأعمال الصـــالحة هى ثمرة الايمان ، وبرهان على وجود الايمان ، وبها نكمل الايمان ، كما سنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد· وقد طلب الله هذه الأعمال الصالحة وأمر بها ، وحدد عقوبات على من يهملها ·

وستكون الدينونة في اليوم الأخير بحسب الأعمال ·

ان الأعمال الصالحة لا يتم الخلاص بسببها، ولكنه لا يتم بدونها · فالخلاص لا يكون الا بدم المسيح وحده، ولكن الأعمال تؤهل لاستحقاق هذا الدم ·

على أنه يلزمنا أن نوجه الانتبـــاه الى أمر هام جـــداً وهو أن **أعمال الانســـان الصـــالحة تحتاج الى مؤازرة من النعمـــة ·** فقد قال المسيح له المجد : « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شـيئاً » (يو ١٥ : ٥)· فأعمالنا الصالحة هى نتيجة لاشتراك ارادتنا مع عمل الروح القدس فينا ·

ان نصـوص الكتاب المقدس التى تقلل من قيمة الأعمال ، هـذه اما أن يكون المقصود منها هو أعمال الناموس كالختان والممارســـات

الطقسية وحفظ الأيام والشهور والأعياد وما الى ذلك، واما أن يكون المقصود منها هو مهاجمة الأعمال غير المبنية على دم المسيح وفدائه ، كأعمال غير المؤمنين والوثنيين .. الخ .. اما أعمال بدون ايمان ، أو أعمال سابقة على الايمان .

وسنحاول أن نتناول هذه النقاط جميعاً واحدة فواحدة حسبما تعطي نعمة الرب من معونة .

الأعمال الشريرة
تؤدى إلى الهلاك

وهذا أمر طبيعي . لأن الله كما انه كامل في رحمته ، كذلك الأمر هو أيضاً كامل في عدله . وما دامت « أجرة الخطيئة هى موت » (رو ٦ : ٢٣) . فلابد أن ينـــال الخاطىء عقوبة خطيئته . حقيقى أن المسيح قدمات عنا، ولكن لا يتمتع باستحقاق موت المسيح سوى التائبين . **والا كان هـذا الخلاص المجاني بابا مفتوحا للاستهتار والفســاد** ، وتصريحاً بارتكاب الخطيئة دون خوف من عقوبتها ، اعتماداً على دم المسيح وكفارته التى وفت كل شيء !!!.

لذلك يقول بولس الرســول في هذا المعنى : « فماذا نقول ؟.. أنبقى في الخطيئة لكى تكثر النعمة ؟! حاشـا . **نحن الذين متنا عن الخطيئة ، كيف نعيش بعد فيها ؟! اذن لا تملكن الخطيئة في جســدكم المائت لكى تطيعوها في شهواته** » (رو ٦ : ١٠-١٢) .

ويتابع بولس الرسول حديثه فيقول : « فماذا اذن أنخطىء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة ؟! حاشـــا . ألستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيداً للطاعة أنتم عبيد للذى تطيعونه ، اما للخطيئة للموت أو للطاعة للبر » (رو ٦ : ١٥، ١٦) .

وفي هاتين الآيتين بين لنا الرسول أننا لو أطعنا الخطيئة ـ ونحن تحت النعمة ـ فانها تكون طاعة للموت . وما دامت للموت ، فمعناها فقداننا للحياة الأبدية التى لنا في المسيح يسوع .

ما أهم هذه الآيات ، وخاصة لأنها كلام الوحي على لســان بولس الرسول الذى هو أكبر رسول يعتمد عليه البروتستانت في موضــوع

النعمة والتبرير بالايمان ، وأيضاً لأنها آيات من الرسالة الى رومية وهى الرسالة الأولى والأساسية التى يعتمدون عليها في هذا الموضوع · [أنظر أيضاً غلا ٢ : ١٧] ·

نصوص من رسائل بولس الرسول :

ما أكثر نصوص الكتاب التى تدل على أن الأعمال الشريرة تؤدى الى الهلاك ·

● (غل ٥ : ١٩–٢١) :

« وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنا ، عهارة ، نجاسة ، دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ، سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ، بطر ، وأمثال هذه التى سبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت **ان الذين يفعلون هذه لا يرثون ملكوت الله** » · اذن فالايمان مع مثل هذه الأعمال الشريرة — لا يفيد شيئاً ولا يخلص وحده الانسان ···

● (أف ٥ : ٥،٦) :

« فانكم تعلمون هذا ، ان كل زان أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ، ليس له ميراث في ملكوت المسيح والله · **لا يغركم أحد بكلام باطل، لأنه بسبب هذه الأمور يأتى غضب الله على أبناء المعصية**» ·

● (١كو ٦ : ٩،١٠) :

« أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله · لا تضلوا · لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ، ولا مأبونون ، ولا مضاجعو ذكور، ولا سارقون، ولا شتامون، ولا خاطفون، يرثون ملكوت الله ·

● (عب ١٣ : ٤) :

« أما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » ··

هذه آيات صريحة يقدم بها بولس الرسول ما يزيد عن عشرين عملا تغلق ملكوت الله أمام المؤمن اذا أخطأ ···

ويتحدث بولس الرسول — رسول النعمة والتبرير — بعنف شديد في رسالته الى العبرانيين فيقول :

« فانه ان أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيرة نارعتيدة أن تاكل المضادين » .

« فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً ، وازدرى بروح النعمة . فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب ، وأيضاً الرب يدين شعبه . **مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى »** .

ونفس المعنى الموجود فى الآيتين الأولين يقول فى شدة ما يشبهه فى موضوع آخر من الرسالة (عب ٦ : ٤–٨) :

- (رو ١ : ٨) :

«لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم».

- (كو ٣ : ٥،٦) :

« فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض : الزنا ، النجاسة ، الهوى ، الشهوة الرديئة ، الطمع الذى هو عبادة الأوثان . الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية » .

- (٢ تس ١ : ٨،٩) :

« ... معطياً نقمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون انجيل ربنا يسوع المسيح، الذين سيعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب». **نلاحظ هنا أنه جعل الهلاك الأبدى عقوبة للأمرين معاً: ترك الايمان، وترك الأعمال . فعبارة «الذين لا يعرفون الله» خاصة بعدم الايمان، وعبارة « الذين لا يطيعون الانجيل » خاصة بترك الأعمال .**

- (رو ٢ : ٨–١٠) :

« وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق بل يطاوعون للاثم، فسخط وغضب . شدة وضيق على كل نفس انسان يفعل الشر، اليهودى أولا ثم اليونانى . ومجد وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح ، اليهودى أولا ثم اليونانى » نلاحظ هنا أيضاً ليس فقط عقوبة الأعمال الشريرة ، بل أيضاً مكافأة الأعمال الصالحة .

● **تعليق**

أوردنا فيما سبق آيات عن عقوبة الخطيئة ، **وكيف أن المؤمن اذا أخطأ يهلك بخطيئته • وان الأعمـــال الشريرة تجعل الذى يخطىء لا يرث ملكوت الله ، ويقع عليه غضب الله ، ويعتبر من أبناء المعصية، ويتعرض لدينونة مخيفة ، وغيرة نار تأكله ، ويعاقب بهلاك أبدى من وجه الرب ، وتقع على نفسه شدة وضيق ، ويدينه الله •**

وكل هذا ذكره بولس الرسول ، الذى تحدث باسهاب عن النعمة والتبرير بالايمان • وقد بدأنا وذكرنا هذه الآيات حتى على ضوئها نفهم الآيات الخاصة بالنعمة والايمان التى ذكرها بولس الرسول نفسه •• **حتى لا يبدو لأحد أن لبولس الرسول تعليماً آخر ، وانما هو أيضاً علم ـ في كل رسالة تقريباً ـ بأن الخطايا تغلق ملكوت السموات ••• بل انه علم كذلك بان الأعمـــال الشريرة تلغى عمـل الايمان** • فقال في رسالته الى تيطس •

● (تى ١ : ١٦) :

« يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه ، اذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون » •

نصوص أخرى من غير رسائل بولس الرسول :

● (٢بط ٢ : ٤ـ٢٢) :

« لأنه ان كان لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل في ســلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ، ولم يشـــفق على العالم القديم ••• يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ، ويحفظ الأثمة الى يوم الدين معاقبين • ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة ••• **فسيهلكون في فسادهم، آخذين أجرة الاثم ••• الذين قد حفظ لهم قتام الظلام الى الأبد** ••• لأنه ان كانوا بعدما هربوا من رجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يســوع المسيح ، يرتبكون أيضاً فيها فينغلبون، فقدصارت لهم الأواخر أشر من الأوائل• **لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم** • قد أصـــابهم ما في المثل

الصادق : «كلب قد عاد الى قيئه، وخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحمأة» .
واضح من النصوص الأخيرة أنه يتكلم عن مؤمنين يهلكون .

● (١ بط ٤ : ١٨،١٧) :

« ... فما هى نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله ؟ .. وان كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والخاطىء أين يظهران » .

● (أع ٥ : ٩) :

« فقال لها بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب . هوذا أرجـــل الذين دفنوا زوجك على الباب وسيحملونك خارجاً . فدخل الشباب ووجدوها ميتة ، فحملوها خارجاً ودفنوها بجانب رجلها » .

ان هلاك حنانيا وسـفيرا دليل على أن العمل الشرير يهلك ، وان الايمان وحده لا يكفي . فقد كان الاثنان مؤمنين بالمســـيح ، ولكن قلبهما لم يكن مســـتقيماً فهلكا . ويقول الكتاب انه بعد موتهما : « صار خوف عظيم على الكنيسة ، وعلى جميع الذين سمعوا بذلك » .

● (رؤ ٢١ : ٨) :

« وأما الخائفون، وغير المؤمنين، والرجسون، والقاتلون، والزناة ، والســحرة ، وعبدة الأوثان ، وجميع الكذبة ، فنصيبهم في البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى » .

● (رؤ ١٨ : ٧) :

« بقدر ما مجدت نفسها وتنعمت، بقدر ذلك أعطوها عذاباً وحزناً» .

● (١ يو ٣ : ١٥) :

« كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس . وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليست له حياة أبدية ثابتة فيه » .

● (يع ٣ : ٢،١) :

« لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى ، عالمين أننا نأخـــذ دينونة أعظم ، لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا » .

● (يع ٥ : ١-٩) :

« هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة ... لا يئن بعضكم على بعض أيها الاخوة لئلا تدانوا . هوذا الديان واقف قدام الباب » .

● تعليق :

رأينا من النصوص السابقة ان خطايا كثيرة تسبب الهلاك، وتلقى في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ، وتجلب العذاب والحزن ، وتحرم من الحياة الأبدية، وتلقي الى الشقاء، والى الدينونة، سواء منها الخطايا التي تبدو خطيرة ، أو الخطايا التي يستهين بها البعض مثل التعليم الكثير ، والغنى الزائد وبخس الأجراء ، وبغضة الأخ ... الخ .. وهذا الأمر هو تعليم السيد المسيح نفسه :

● (يو ٥ : ٢٨، ٢٩) :

« فانه تأتي ساعة يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » .

● (مت ١٣ : ٤٠-٤٢) :

« فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار،هكذا يكون في انقضاء العالم. يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الاثم ، ويطرحونهم في أتون النار- هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

● (مت ٧ : ١٩، ٢٠) :

« كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار . فاذن من ثمارهم تعرفونهم » .

نلاحظ في كل النصوص السابقة انه لم يتكلم عن طرح غير المؤمنين في النار أو الدينونة وانما « الذين عملوا السيئات » و« جميع المعاثر وفاعلى الاثم » و« من لا يصنع ثمراً جيداً » .

والنصوص المقبلة تظهر بوضوح ان الايمان وحده لا فائدة منه للخلاص اذا لم يصحب باعمال صالحة :

● (مت ٧ : ٢١_٢٣) :

« ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى في السموات . كثيرون سيقولون لى في ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات ؟ ... فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » .

نلاحظ في هذه الآيات أن هؤلاء الهالكين لم يكونوا مؤمنين فحسب ، وانما أيضا أصحاب مواهب ومعجزات .

● (مت ٢٥ : ٤١_٤٦) :

« ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عنى. يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته . لأنى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى ، كنت غريباً فلم تأوونى ، عرياناً فلم تكسونى ، مريضا ومحبوساً فلم تزورونى. حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يارب متى ... فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية » .

نلاحظ هنا أن هؤلاء الهالكين ، لم يكونوا قتلة أو فسقة أو عبدة أوثان . وانما مجرد عدم اطعام الجائع ، ومجرد عدم زيارة المريض، كان سببا في هلاكهم ...

● (لو ١٣ : ٣، ٥) :

« ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » .

● (مت ٥ : ٢٩، ٣٠) :

« فان كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها والقهـا عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم ، وان كانت يدك اليمنى تعثرك ... » .

نلاحظ هنا أن سبب الالقاء في جهنم لم يكن عدم الايمان، وانما كانت خطية واحدة من خطايا الجسد ، مثل شهوة العين التى تقود الى الزنا ، أو السرقة مثلا .

● (لو ١٣ : ٢٤_٢٨) :

« واجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق : فاني أقول لكم ان كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون ، من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب . وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين يا رب افتح لنا . فيجيب ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم ، تباعدوا عني يا جميع فاعلى الاثم . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ... » .

(هنا يكلم مؤمنين يقولون له يا رب يا رب ... ولكنهم هلكوا لانهم كانوا فاعلي اثم) .

● (مت ١٩ : ٢٤) :

«مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى ملكوت الله» .

[أى هناك من سيفقدون الملكوت ، لا بسبب عدم ايمانهم بل بسبب مخاطر الغنى] .

● (مت ١٢ : ٣٦) :

« ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر وبكلامك تدان » .

[ان ايمان الانسان لا ينفى وقوعه في الدينونة بسبب كلامه] .

هنا نتذكر قول معلمنا القديس باسيليوس الكبير : ماذا يفيدني لو عملت كل البر ، ثم أقول لأخي يا أحمق فاكون مستحقا نار جهنم ، لأن ربنا يسوع المسيح يقول : « ومن قال لأخيه يا أحمق يكون مستحق نار جهنم » (مت ٥ : ٢٢) .

* * *

الدينونة ... حسب الأعمال

هذه حقيقة واضحة تبين أهمية أعمال الانسان .

في العهد القديم يقول داود في المزمور « لك يا رب الرحمة لأنك تجازى الانسان كعمله »(مز ٦٢ : ١٢) ، ويقول سفر الجامعة « لأن الله يحضر كل عمال الى الدينونة، على كل خفي ان كان خيراً أو شراً » (جا ١٢ : ١٤) .

وفي العهد الجديد تأكدت هذه الحقيقة من فم السيد المسيح وأفواه رسله القديسين ، وفي هذا يقول السيد الرب « فان ابن الانسان سوف يأتى في مجد أبيه مع ملائكته **وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله** » (مت ١٦ : ٢٧) . كما قال أيضاً « فانه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة »(يو ٥ : ٢٨،٢٩) لاحظوا أنه يتكلم في هذه الآية عن الأعمال « الذين فعلوا الصالحات ... والذين عملوا السيئات » .

وليست الدينونة على الأعمال فقط ، بل حتى على الكلام . ولذلك يقول « بكلامك تبرر وبكلامك تدان » (متى ١٢ : ٣٦) .

وهذا الأمر واضح في سفر الرؤيا . اذ أن الرب أرسل الى كل ملاك من ملائكة الكنائس السبع يقول له « أنا عارف أعمالك » (رؤ ١:٢،٣) . كما قال الرب صراحة « **وها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى ، أجازى كل واحد كما يكون عمله** » (رؤ ٢٢ : ١٢) .

وقد قيل في هذا السفر « طوبى للأموات الذين يموتون في الرب منذ الآن نعم يقول الروح ! لكى يستريحوا من أتعابهم ، **وأعمالهم تتبعهم** » (رؤ ١٤ : ١٣) . وقيل أيضاً « ودين الأموات **مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم** » (رؤ ٢٠ : ١٢) .

وصورة الدينونة التي شرحها لنا الرب يسوع من حيث كلامه الذى يقوله للذين عن اليمين ، وكلامه للذين على اليسار ، هي صورة

دينونة حسب الأعمال• اذا أنه قال للذين عن اليمين «جعت فاطعمتونى عطشت فسقيتمونى ، كنت غريباً فاويتمونى ••• » • وبناءاً على هذه الأعمال الصالحة قال لهم تعالوا يا مباركى أبى، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣١ـ٤٦) ••• وبالمثل فعل مع الأشرار ، دانهم حسب أعمالهم •

اذن يكفى أن يقصر الانسان في اطعام الجياع أو زيارة المرضى ، واذ يخلو قلبه من هذه الرحمة يفقد الملكوت ، مهما كان له من ايمان، ومهما كان له من ثقة جوفاء في داخله لا تغنيه شيئاً !!• ما أخطر العبارة التى قالها معلمنا يعقوب الرسول « ما المنفعة يا أخوتى ان قال أحد ان له ايماناً ولكن ليس له أعمال• هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟!» (يع ٢ : ١٤) •

وكون الدينونة حسب الأعمال ، حقيقة تكلم عنها بولس الرسول كثيراً • فقال لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسى المسيح ، **ليتال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً** » (٢كو ٥ : ١٠) • وقال أيضاً : « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب واستعلان **دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله** » (رو ٢ : ٥ـ٧) •

وتلخيصاً للدينونة حسب الأعمال ، قال بولس الرسول كذلك «فان الذى يزرعه الانسان ، اياه يحصد أيضاً • لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً • ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غل ٦ ٨،٧) • كما قال « فعمل كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبينه وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو »(١كو٣:١٣)•

وقال أيضاً « كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه » ، ولم يقل « بحسب ايمانه » أو « بحسب النعمة » •••

وعن الدينونة حسب الأعمال قال بطرس الرسول عن الأب « **الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد** ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١بط ١ : ١٧) •

فان كانت الأعمال على هذه الدرجة من الخطورة ـ خيراً كانت أم شراً ـ بحيث يدان الانسان بموجبها ، فهل يجرؤ أحد أن يقلل من قيمة الأعمال وأهميتها ؟!•

ان كان الله لا ينسى «كاس الماء البارد» فلا يضيع أجره ، ولا ينسى أبداً تعب المحبة ،«اذن يا اخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين، مكثرين في عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلا في الرب » (١كو ١٥ : ٥٨) .

ان الأعمال هامة جداً في طريق خلاصنا ، وهامة في تحديد مصيرنا الأبدى ، فلنتأمل اذن كم هي لازمة ...

الأعمال ثمار لازمة للإيمان

الأعمال ثمار للايمان . الايمان الحى لا بد أن يثمر ، وهو يثمر أعمالا صالحة . هذه الأعمال دليل على وجود الايمان وحيويته . وهى أيضاً ثمار لعمل الروح القدس فينا ، وثمار لازمة لحياة التوبة التى نحياها .

فهل يطلب الله هذه الأعمال ؟ أو يطلب هذه الثمار ؟ نعم يطلبها ، ويشدد في ذلك ...

وقف يوحنا المعمدان ينادى قائلا « اصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا ابراهيم أباً ... » (لو ٣ : ٨) . ان اختيار الله لكم ، ليس معناه أن تخلصوا بدون الأعمال . لا بد أن تصنعوا ثماراً تليق بالتوبة . وان لم تصنع ؟ ان لم تصنعوا ثمراً فنهايتكم تكون الهلاك . وما الدليل ؟ .

يستطرد يوحنا المعمدان ـ أعظم من ولدت النساء ـ فيقول « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة . **فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار »(لو ٣ : ٩) أى أن الذى لا يعمل أعمالا صالحة يهلك . تحتج قائلا أن لى ابراهيم أبا ، أنا مولود من الله ، أنا تبررت وتقدست وتجددت . أقول لك « اصنع ثماراً تليق بالتوبة » .**

هذا الكلام لم يقله يوحنا المعمدان فقط ، لكننا في العهد الجديد أيضاً نجد بولس الرسول يقول « أخبرت أولا الذين في دمشق وفي أورشليم حتى جميع كورة اليهودية ، ثم الأمم ، أن يتوبوا ويرجعوا الى الله ، عاملين أعمالا تليق بالتوبة » (أع ٢٦ : ٢٠) .

وفي رسالته الى تيطس يقول « صادقة هى الكلمة ، أريد أن تقرر هذه **الأمور** لكى يهتم الذين آمنوا بالله أن يمارسوا أعمالا حسنة » . لماذا أيها القديس العظيم ؟ يكمل معلمنا بولس كلامه فيقول « ... **وليتعلم من لنا أيضاً أن يمارسوا** أعمالا حسنة ... حتى لا يكونوا بلا ثمر » (تى ٣ : ٨،١٤) .

الأعمال اذن هى ثمرة الايمان ، ان كان لك ايمان ، ولا يعطى ثمراً ، فهو اذن ايمان ميت ، لأنه لو كان حيا لأعطى ثمراً .

وهذه المسألة يشرحها باستفاضة معلمنا يعقوب الرسول فيقول « ما المنفعة يا اخوتى ان قال أحد ان له ايماناً ولكن ليس له أعمال . هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟! » (يع ٢ : ١٤) . **أنت مؤمن بالمسيح وتقول أن دم المسيح قد طهرنى وقد جددنى وقد بررنى ، حسن هذا جداً ، ولكن ان لم تكن لك أعمال،فهل يقدر هذا الايمان أن يخلصك؟!** ان يعقوب الرسول يثبت في صراحة تامة عجز الايمان عن تخليص انسان ليست له أعمال .

فهل يعقوب الرسول هو الوحيد الذى هاجم مثل هذا الايمان الميت؟ كلا ، بل ان بولس الرسول قال أيضاً « ان كان لى الايمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً » (١كو ١٣ : ٢) .

ان كنت حقا ابنا لله ، وهيكلا لله ، والروح القدس يحيا فيك ، فينبغى أن تكون لك أعمال هى ثمار الروح فيك . ومعلمنا بولس الرسول يشرح هذه الثمار فيقول : « وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ايمان ، وداعة ، تعفف » (غل ٥ : ٢٢) . فهل توجد فيك هذه الثمار ؟ ان كانت لا توجد ، فما الدليل على أن الروح القدس يعمل فيك ؟!.

ان الشجرة التى لا تثمر ، هى شجرة مائتة. وقد قال السيد المسيح له المجد « **كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع وتلقى في النار ،** فاذن من ثمارهم تعرفونهم . ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى في السموات » (مت ٧ : ١٩-٢١) . وهنا نرى أن السيد الرب قد ربط بين الخلاص والثمر الجيد الذى يدل عليه عمل ارادة الآب .

ولاهمية هذه الثمار قال الرب في توبيخه لليهود « لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماراً » (مت ٢١:٤٣)٠

وقد شرح لنا الرب كيف أنه أزمع أن يقطع التينة التي لم تصنع ثمراً ، فتوسل اليه الكرام قائلا « ياسيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلا ٠ **فان صنعت ثمراً والا ففيما بعد تقطعها** » (لو ١٣ : ٦ـ٩) ٠ فان كنت تخشى أيها الأخ على نفسك من هـذا القطع ، فأسرع الآن واعمل أعمالا تليق بأبناء الله ٠ لا تستهن بقيمة الأعمال ، فقد وضعت الفأس على أصل الشجرة ٠

ان الأعمال ليست فقط ثمراً للايمان ، وانما أكثر من هذا :

الأعمال برهان على وجود الايمان :

يقول مار يعقوب الرسول « أرني ايمانك بدون أعمالك ٠ وأنا أريك بأعمالي ايماني » (يع ٢ : ١٨) ٠ أي أن **الأعمـــال** تدل على وجود الايمان - وهذا واضح من قول الكتاب « من ثمارهم تعرفونهم ٠٠٠ كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة ٠ وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً ردية » (متى ٧ : ١٦،١٧) ٠

الأعمال برهان على الولادة من الله :

وذلك لأن الكتاب يقول « ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٩) - ويقول أيضاً « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (١يو ٣:٩)٠ واعتبر أن هذا هو المميز لأولاد الله ، فقال بعـــدها « **بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس (ظاهرون)** » (١ يو ٣ : ١٠) -

وهـذا يشـــبه ما قاله الرب لليهود المفتخـــرين باطلا ببنوتهم لابراهيم : « لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمـــال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) ٠ فاتخذ الأعمال دليلا على البنوة -

وقد دافع بولس الرسول أيضاً عن هذه النقطة فقال «لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أولاد الله » (رو ٨ : ١٤) ٠

ان كان أولاد الله هم هؤلاء الأبرار ٠ فبماذا تسمى الخطاة ؟ سماهم الكتاب « أولاد الأفاعي » (متى ٣ : ٧)٠ وسماهم « أولاد ابليس »

(يو ٨ : ٤٤ ، ١ يو ٣ : ١٠) · وسماهم ايضا « أبنــاء الغضب » و « أبناء المعصية » (أف ٢ : ٢،٢) ·

ان أتاك أحــد اذن وقال لك اننى ابن لله ، لأنى تجددت وتبررت وتقدست · فقل له « من ثمارهم تعرفونهم » ·

الأعمال اذن ثمرة للايمان ، وبرهان على وجود الايمان وبرهان على البنوة لله · وماذا أيضاً ؟ نقول كذلك ·

بالأعمال يكمل الايمان :

فهكذا قال الرسول « وبالأعمال أكمل الايمان » (يع ٢ : ٢٢) ·

لقد بلغ الأمر بيعقوب الرســول أنه ــ عندما تكلم عن الديانة ــ قال « الديانة الطاهرة النقية عند الله الآب هى هذه : افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقتهم ، وحفظ الانســان نفســه بلا دنس من العالم » (يع ١ : ٢٧) · وكل هذه أعمال ولا شك · ولكننا لا نستغل هــذه الآية ــ كما يفعل البعض ــ وذلك لايماننا بمبدأ « خطورة استخدام الآية الواحدة » ·

ما دامت الأعمال اذن بهــذه الأهمية · فلنتذكر على الدوام قول مار يعقوب « فمن يعرف أن يعمل حسناً ، ولا يعمــل ، فذلك خطية له » (يع ٤ : ١٦) ·

أهمية السلوك والأعمال الصالحة

ويقول البعض « ما علاقة الخلاص بسلوك الانســان ؟ ان المسألة مسألة ايمان ، وليست مسألة سلوك أو أعمال صالحة » !! لذلك سنبين هنا أهمية السلوك وحفظ الوصايا ·

● يقول يوحنا الرسول : « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق · ولكن ان سلكنا في النور كما هو في النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » (١ يو ١ : ٦،٧) ·

اذن سلوكنا في النور له نتيجتان ، هما الشركة والتطهير ·

سلوكنا في النور ، يجعل لنا شركة مع الرب ومع بعضنا البعض · بعكس سلوكنا في الظلمة ، فانه يعطل شركتنا مع الله ·

وسلوكنا في النور يجعلنا مستحقين أن نتطهر بدم المسيح • لأنه يقول « ان سلكنا في النور ••• دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيــة » • « ان سلكنا في النور » • هنــا شرط • اذن فاستحقاقات الفداء، والتطهير بدم المسيح، يستلزم منا أن تسلك في النور • ما أهم هذا السلوك اذن وما أخطره •••

● **هــذا السلوك الحسن ينجينا من الدينونة في اليوم الأخـــير •**
يقول الكتاب « اذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل حسب الروح » (رو٨:١) • انك بالمسيح يســوع تنجو من الدينونة ، ولكن بشرط ••• بشرط أن يكون سلوكك روحياً •

ونلاحظ هنا أن عبارة القديس بولس الرســول تشمل الناحيتين السلبية والايجابية • فمن جهة ينبغي أن يبعـــد المؤمن عن الشر ، فلا يسلك حسب الجسد• ومن الجهة الأخرى ينبغي أن يثمر في الفضيلة، فيكون سالكاً حسب الروح •

● **لذلك ما أكثر وصايا آبائنا الرسل عن أهمية السلوك :**
يقول القديس بولس في رســالته الى أهل غلاطية « ان كنا نعيش بالروح ، فلنسلك أيضاً بحسب الروح » (غل ٥:٢٥) • ويشدد على هذه النقطة « **اسلكوا بالروح ، ولا تكملوا شهوة الجسد** »(غل٥:١٦)• ويأمر أن نسلك « في جدة الحياة » (رو ٦ : ٤) •

ويرسل الى أهل أفسس قائلا « أســـألكم أنا الأسير في الرب أن **تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم اليها** » (أف ٤ : ١) • ويقول لهم أيضاً « انظروا كيف تسلكون بالتدقيق ، لاكجهلاء بل كحكماء » (أف ٥ : ١٥) •

[انظروا أيضاً ١ تس ٢ : ١٢ ، ٤ : ١ ، ١ كو ١ : ١٠ ، رو ١٣ : ١٣]

● **ومن ثم كان آباؤنا الرسل يمنعون الخلطة بالذين يسلكون بلا ترتيب**
لذلك يقول مار بولس في رسالته الثانية الى تسالونيكى « ثم نوصيكم أيها الاخوة باسم ربنا يسوع المسيح ، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التقليد الذى أخذه منا » (٢تس ٣ : ٦، ١١)•

● **ويرى أباؤنا الرسل أن السلوك الحسن هو علامة المحبة، والدليل على الثبات في المسيح ٠**

فيقول القديس يوحنا الرسول « وهذه هي المحبة أن نسلك بحسب وصاياه » (٢ يو ٦) ٠ ويقول أيضاً « من قال أنه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضاً » (١يو ٢ : ٦) ٠

● **وحفظ الوصايا هو دليل محبة المسيح والعلاقة به :**

قال القديس يوحنا الرسول « فان هذه هي محبة الله ، أن نحفظ وصاياه ، ووصاياه ليست ثقيلة » (١يو ٥ : ٣) ٠ ولعل هـذا هو ما قاله الرب نفسه «الذي عنده وصاياي ويحفظها، فهو الذي يحبني» (يو ١٤ : ٢١) ٠

أما كونها دليل العلاقة به ، فقـد قال الرب أيضـاً « من يصـنع مشيئة أبي الذي في السموات ، هو أخي واختي وأمي » (متى١٢: ٥٠)٠

ان كان سلوك الانسان على هذه الدرجة من الأهمية : تتوقف عليه شركتنا مع الله ومع الكنيسة ، ويتوقف عليه تطهيرنا من خطايانا بدم المسيح ، وبه تكون دينونتنا ٠ وهو دليل على محبتنا لله ، وثباتنا فيه، وعلاقتنا به ، فهل يصح أن يتجاهله أحد ، قائلا ان حيـاتنا ليست مسألة سلوك وانما ايمان !!٠٠

★ ★ ★

الفصل الثالث

الجهاد والنعمة

ان كانت الأعمال لازمة للخلاص فهل يخلص الانسان بأعماله أم بنعمة الروح القدس العاملة معه ؟ لقد تطرف كثيرون في التحمس لأحد الجانبين ، فأخطأوا . وسنحاول في هذا المجال أن نجيب عن هذا السؤال الهام وهو كيف يخلص الانسان ؟ بالجهاد أم بالنعمة ، أم بكليهما معاً ؟.

الجهاد والنعمة معاً :

لا يمكن للانسان أن يخلص بجهاده وحده . فقد قال السيد المسيح له المجد « **بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً** » (يو ١٥ : ١٥) . اذن فذراعك البشرى وحده ـ بدون معونة من الله ـ لا يمكن أن يخلصك ، مهما جاهدت ومهما تعبت .

وأيضا النعمة وحدها لا تشاء أن تخلصك بدون استجابة ارادتك لها . وما أجمل قول القديس يوحنا ذهبى الفم « ان الله لا يريدنا أن نكون مستلقين على ظهورنا ويعطينا الملكوت ، لذلك فالنعمة لا تعمل كل شيء وحدها » . فهي ليست مجالا للكسل والتهاون والتراخي .

فلا تجلس كسلاناً ، دون جهاد في حياتك ، قائلا في غير فهم : انى تارك نفسي للنعمة تعمل بي ما تشاء !! ان عمل النعمة فيك يا أخى ليس معناه أن تنام وتتهاون في أداء واجباتك .

مثال يشوع وموسى :

كان يشوع بن نون يقود الجيش ويحارب عماليق ، وفي نفس الوقت كان موسى النبى يقف على رأس التلة رافعاً يديه بالصلاة ... (خر ١٧ : ١١) .

فهل انتصر الشعب عن طريق جيش يشوع المحارب ، أم عن طريق صلاة موسى ؟ يخطيء من يركز على واحد من الأمرين ويهمل الآخر • لأن يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى — أى بدون معونة من الله — ما كان ممكناً أن ينتصر • وصلاة موسى وحدها لم يكن معناها مطلقاً تشجيع الجيش على أن يتراخى أمام العدو معتمداً على صلاة موسى ! الجهاد والصلاة معاً كانا سائرين جنباً الى جنب • هذا يجاهد في الحرب ، والآخر يرفع يديه بالصلاة • الاثنان متلازمان •

شركة الروح القدس :

هناك عبارة جميلة ، ان فهمناها فهمنا الكثير عن النعمة والجهاد • تقول البركة الرسولية « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم »(٢كو ١٣ : ١٤) فما معنى عبارة شركة الروح القدس •

انها شركة بين اثنين يعملان سوياً : الروح القدس والانسان • فالروح القدس يقدر أن ينقذك وينجيك ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك أن تشترك معه في تدبير حياتك ••• وهذه هى شركة الروح القدس •

لعلك تحتج وتقول : كيف هذا ! ألا يستطيع الروح القدس وحده ان يخلصنى ؟ نعم أنه يستطيع ، ولكنه لا يشاء لأنه ليست في سياسة الله أن يرغمك على عمل الخير ، لأن العمل الذى لا ارادة لك فيه . لا يجوز مطلقاً أن تكافأ عليه •

وان الروح القدس هو وحده الذى يعمل ، فلماذا اذن وجد أبرار وأشرار ؟ لو أن الأمر يتلخص في عمل الروح القدس وحده ، ما وجد خاطيء واحد على الأرض • ان الروح القدس يستطيع أن يجعل الخاطيء يتوب ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا ما لم تتحد ارادة هذا الخاطيء معه •• انها شركة •

ان مجرد وجود انسان خاطيء واحد في العالم ، لا يتوب ، لهو دليل أكيد على أن النعمة وحدها لا تعمل كل شيء •

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية :

كلا فحريتك قائمة ، وارادتك قائمة . تستطيع أن تستجيب لعمل الروح القدس فيك ، وأن تشترك معه وتنقاد له . **ويمكنك أيضا أن توقف عمل الروح القدس فيك اذا أردت . ولذلك يحذرنا الكتاب المقدس قائلا : « لا تطفئوا الروح » (اتى ٥ : ١٩) ، ويقول أيضا « لا تحزنوا روح الله القدوس » (أف ٤ : ٣٠) .**

النعمة واقفة على الباب تقرع ... « ها أنذا واقف على الباب وأقرع ، ان سمع أحد صوتي وفتح الباب ، أدخل اليه وأتعشى معه وهو معي » (رؤ ٣ : ٢٠) . وان لم يفتح ، فهو حر ، يحدد مصيره كما يشاء .

النعمة تعرض معونتها عليك . وأنت حر تقبل أو لا تقبل تعمل أو لا تعمل ...

اذا اشتركت مع الروح القدس في العمل، من أجل نفسك، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة ، حسب درجة استجابتك وانقيادك . واذا رفضت الاشتراك ، فالنعمة لا تشاء مطلقاً أن ترغمك على الخير .

يتطرف كثير من الناس ، لدرجة أن كلمة الجهاد الشخصي تبدو كما لو كانت هرطقة ! كما لو كانت عملا ضد الايمان وضد معونة الله ! وهذا كله خطأ .

فالنعمة عبارة عن سلاح مقدم اليك ، تستطيع أن تحارب به وتنتصر ان أردت ، وتستطيع أن تهمله ، وتقابل عدو الخير وأنت أعزل فتنهزم. وأنت في كلا الأمرين حر تنفذ مشيئتك ، ومن الخير لك أن تستخدم السلاح المقدم اليك من أجل خلاص نفسك .

وكمثال لهذا الأمر نقول : لو أن جنودا أخذوا من قيادتهم أثناء الحرب دبابات ومدافع وقنابل وأسلحة ، وقاتلوا وانتصروا : فهل النصر راجع الى بسالتهم أم الى الأسلحة ؟ ان بسالتهم وحدها ــ بدون أسلحة ــ ما كانت تكفي مطلقاً للانتصار ، فالحرب تحتاج الى سلاح . والأسلحة وحدها ، بدون جنود مهرة يستخدمونها ، لا يمكن بمفردها أن تعمل شيئاً . كذلك الأمر في الحروب الروحية هي اشتراك بين ارادة الانسان وأسلحة الروح .

ضرورة الجهاد :

كثيرة هي النصوص المقدسة التي تشرح ضرورة الجهاد ٠٠ نذكر من بينها قول الرسول «لذلك نحن أيضاً اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطيئة المحيطة بنا بسهولة ، **ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا** » (عب ١٢ : ١) ٠ يقول الرسول هذا ثم يوبخ العبرانيين قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم **مجاهدين ضد الخطيئة** » (عب ١٢ : ٤) ٠

فالمفروض اذن أن نجاهد ، وليس جهاداً عادياً ، انما جهاد حتى الدم ضد الخطيئة٠ وان سأل أحد : الى متى هذا الجهاد ؟ نقول انه جهاد العمر كله ٠ وكما يقول الكتاب «الذي يصبر الى المنتهى فهذا يخلص» (مت ١٠ : ٢٢) ٠ ورسول الجهاد نفسه شرح لنا كيف عاش بالنعمة فقال : « جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعي ، حفظت الايمان ٠ وأخيراً قد وضع لي اكليل البر الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل » (٢تي ٤ : ٧،٨) ٠

انه جهاد ، ولكنه ليس جهاداً شخصياً منفصلا عن عمل الله فيه ٠ بل انه يجمع الاثنين معاً اذ يقول عن كرازته « الأمر الذي لأجله أتعب أيضاً مجاهداً ، بحسب عمله الذي يعمل في بقوة » (كو ١ : ٢٩) ٠

ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى :

أما الذين يتطرفون في الحديث عن النعمة بحيث يحتقرون عمل الجهاد ، فانهم يعترضون بالآية التي تقول « ليس لمن يشاء ولا من يسعى ، بل لله الذي يرحم » (رو ٩ : ١٦) ٠

فما معنى هذا ؟ هل معناه أن رحمة الله تعطينا الخلاص المجاني ، وتنقلنا الى الملكوت ، بدون سعي وبدون مشيئة صالحة ؟! هل معنى هذا أن ينام كل انسان ويكسل ، ولا يسعى نحو الخير ، ولا يريده ، مكتفياً بأن يرحمه الله وهو في هذا التراخي ؟!٠

مستحيل أن يقصد الرسول هذا ٠ مستحيل أن يقصد هذا المعنى من قوله ولا لمن يسعى، بينما يقول « قد جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي ٠٠٠ » ٠

ان الذى قال (ليس لمن يسعى) ، قد أكمل السعى . ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعى ، ونتيجة لجهاده الحسن .

ان الذى قال (ليس لمن يسعى) ، هو الذى قال عن نفسه « ليس أنى قد نلت أو صرت كاملا ، ولكنى **أسـعى لعلى أدرك** الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح يسوع ... أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسى قد أدركت ، ولكنى أفعـل شـيئاً واحـداً ، اذ أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام. **أسعى نحو الغرض** لأجل جعالة دعوة الله العليا» (فى ٣ : ١٢-١٤) .

ان بولس نفسه يسـعى لكى يدرك . فهل هذا هو مجرد اختبـار خاص قد مر بك يا بولس ؟ أبداً ... انه للكل . لذلك يتابع الرسول كلامه فيقول « فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (فى ٣ : ١٥) ... ان كنت كاملا اذن عليك أن تسعى لكى تدرك .

وبولس الرسول نفسه يدعونا جميعاً الى هذا السعى وهذا الجهاد فيقول:«ألستم تعلمون أن الذين يركضون فى الميدان جميعهم يركضون ولكن واحد يأخذ الجعالة،هكذا **اركضوا لكى تنالوا** »(١كو ٩ : ٢٤) .

ما الذى تطلبه منا أيها الرسول العظيم؟! كيف نركض والأمر ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى؟! ما الفائدة من أن نركض وأن نجاهد ؟ كفانا أن نجلس كما نحن ، وتأتينا النعمة من عند الله ، فتنقلنا من الموت الى الحياة ، وتدخلنا مجاناً الى الملكوت ، دون أن نشاء ودون أن نسعى !-- ان بولس يكمل كلامه فيقول « **وكل من يجاهد يضبط نفسـه فى كل شىء .. اذن أنا أركض هكذا** ... بل أقمع جسدى واستعبده ، حتى بعدما كرزت للآخرين،لا أصير أنا نفسى مرفوضاً »(١كو٩:٢٥-٢٧).

اذن فهذا الركض وهذا السـعى ، ليس لنا فقط نحن المؤمنين الضعفاء وانما هو للرسل أيضاً . **فبولس نفسه يركض . بولس الذى كان ممتلئاً من الروح القدس ، الذى كانت تعمل فيه النعمة أكثر من الجميع ، هو أيضاً كان محتاجاً أن يركض ، وأن يسعى ، وأن يكمل السعى ، وأن يجاهد الجهاد الحسن** ... ويدعونا معه أن نركض مثله لكى ننال ..

بل ان بولس العظيم نراه يقمع جسده ويستعبده ، حتى لا يصير هو نفسه مرفوضاً ! فان كان بولس الرسول يجاهد ويخاف أن يرفض فماذا تفعل نحن ؟

ما معنى اذن قوله «ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم»؟ **معناه أن الملكوت لا تصل اليه بمجرد مشيئتك فقط ، أو بمجرد سعيك فقط ، بدون عمل الله معك ، وبدون معونة من نعمته ، وبدون شركة الروح القدس ·**

فالجانب الأساسي في الموضوع يرجع الى الله الذى يرحم · فالذى يعتمد على مشيئته وحده ، وعلى سعيه وحده ، هو مخطىء ، فأنا أسعى والله يرحم · وعندما يبارك الله سعيى ، أرجع الفضل الى الله وليس الى هذا السعي ·

حقيقى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، ولكن الله الذى يرحم · ولكن من هو الذى يرحمه الله ؟ يقول أحد القديسين « ان الله يرحم الذين يشاءون والذين يسعون » ·

تذكرني هذه الآية بقول بولس الرسول أيضاً « اذن ليس الغارس شيئاً ولا الساقى بل الله الذى ينمى » (١كو ٣ : ٧) ·

حقيقى أن الفضل لله الذى ينمي · ولكن الله ينمي الغرس الذى غرس وسقي · ليس معنى الآية أننا لا نغرس ولا نسقى · قائلين في أنفسنا ليس الغارس شيئاً ولا الساقى ، ثم بعد ذلك في جهالة ننتظر أن الله ينمى !! **بل اننا نغرس ونسقي ، ونقول ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذى ينمي · تماماً مثلما نشاء ونسعى ، ونقول ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل الله الذى يرحم ·**

الحرب الروحية :

فلنتأمل شرح الرسول لهذه الحرب الروحية في الاصحاح السادس من رسالته الى أفسس اذ يقول :

« أخيراً يا اخوتى ، تقووا في الرب وفي شدة قوته · البسوا سلاح الله الكامل، لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد ابليس · **فان مصارعتنا**

ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية في السمويات • من أجل ذلك احملوا سـلاح الله الكامل ، لكى تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير • وبعد أن تتمموا كل شيء ، أن تثبتوا • فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم **بالحق** ، ولابسين درع **البر** ، وحاذين أرجلكم باستعداد **انجيل** السلام • حاملين فوق الكل ترس الايمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة • وخذوا خوذة الخلاص ، وسيف الروح الذى هو **كلمة الله** • **مصلين** بكل صـلاة وطلبة كل وقت في الروح ، **وساهرين** لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة ••• » (أف ٦ : ١٠ــ١٨) •

هنا مصارعة ، وهنا حرب روحية ، وجهاد • والسلاح هو سلاح الله الكامل • ولكن ليس معنى هـذا أننا لا نجاهد • انما يجب أن تجاهد ، وتعتمد على الله في جهادك • لا تكن مثـل شخص قدمت اليه أسلحة الله الروحية ، ووقف صامتاً لا يستخدمها ، ولا يحارب بها • الأسلحة موجودة ، ولكن عليه أن يحارب •

أسـلحة الله لها قوتها ، ولكن ان لم تسـتخدمها فسـتنهزم • ان الأشخاص الذين ذكرهم بولس الرسول باكياً في (في ٣) • كان بامكانهم أن يستخدموا كل تلك الأسلحة ، ولكنهم تركوها ، ومالت نفوسهم نحو الخطيئة واستسلموا لها فهلكوا في خطاياهم •

على أننا في تلك الأسلحة الروحية نلاحظ البر ، والحق ، وكلمة الله ، والصلاة والطلبة ، والسهر •• وكل هذه أعمال •

ومعلمنا بطرس الرسول يتكلم أيضاً عن هذه الحرب الروحية فيقول « اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو • فقاوموه راسخين في الايمان ••• »(١ بط ٥ :٨،٩) • ان ابليس عدونا مثل أسد زائر • فماذا نفعل اذن ؟•

(قاوموه) ••• أى جاهدوا واصمدوا واستبسلوا • ولكن ليس اعتماداً على ذراعكم البشرى ، بل (قاوموه راسخين في الايمان) • هذه الآية تدل على الأمرين معاً : الجهاد في مقاومة الشيطان ، والنعمة التى يعتمد عليها المجاهد بالايمان •

ومثل هذا الجهاد يدعو اليه بولس الرسول عندما يوبخ العبرانيين قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة »(عب١٢:٤) •

هنا جهاد وهنا مقاومة - ولكننا لا نقاوم بقوتنا الخاصة وانما بسلاح الله الكامل ، راسخين في الايمان ٠

وهكذا يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس « جاهد جهاد الايمان الحسن » ٠ فهنا جهاد وهنا ايمان ، والأمران يسيران معاً ٠ ويتحدث بولس الرسول عن جهاده فيقول « جاهرنا في الهنا أن نكلمكم بانجيل الله في جهاد كثير » (١تس ٢ : ٢) ٠ ويقول في رسالته الى كولوسي (٢ : ١) « فانى أريد أن تعلموا أى جهاد لى لأجلكم » ٠

مثال داود وجليات :

كيف انتصر داود على جليات ؟ هل انتصر عليه بنعمة الله ومعونته؟ نعم بلا شك ٠ لقد كان داود معتمداً على الرب اعتماداً كاملا٠ولذلك **قال** داود لجليات « أنت تأتى الى بسيف وبرمح وبترس ، وأنا أتى اليك باسم رب الجنود » ٠ « هذا اليوم يحبسك الرب في يدى ، فأقتلك وأقطع رأسك ٠٠٠ وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص الرب ، لأن الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ : ٤٥_٤٧) ٠

عظمة داود في هذه الحرب انه أدخل الله الى ميدان القتال ٠ قبل مجيء داود لم يكن هنا كلام عن الله ٠ كان الكلام فقط عن الرجل الصاعد ، الرجل الجبار ، الذى يعير الجيش دون أن يهتم ٠ وكان الكلام أيضاً عن مكافأة الملك لمن يقتل هذا الرجل (١صم ١٧ : ٢٥) ٠

أما داود فادخل اسم الرب الى الميدان « آتيك باسم الرب ٠٠٠ يحبسك الرب في يدى ٠٠٠ الرب الذى أنقذنى من يد الأسد ٠٠٠ لأن الحرب للرب ٠٠٠ الخ » ٠ ولكن هل اكتفى داود بأن أدخل اسم الرب الى الميدان قال : بالايمان سأقتل جليات ، بدون عمل وبدون جهاد ، لأن الحرب للرب وهو سيدفعه ليدنا ٠٠٠! كلا ، بل ان داود « انتخب خمسة حجارة ملساء من الوادى وجعلها في جرابه ، وتقدم نحو الفلسطيني ومقلاعه بيده » (١صم ١٧ : ٤٠) ٠ وكان لما تقدم جليات للقاء داود « أن داود أسرع وركض نحو الصف للقائه ، ومد يده الى الكنف، وأخذ منه حجراً ، ورماه بالمقلاع، وضرب الفلسطيني في جبهته، فارتكز الحجر في جبهته وسقط على وجهه الى الأرض ٠ فتمكن

داود منـــه بالمقلاع والحجر وضربه وقتله • ولم يكتف بهذا ، وانما ــ اذ لم يكن له ســيف ــ ركض ووقف فوق جليـــات ، وآخـــذ ســيفه واخترطه من غمده، وقتله وقطع به رأسه »(١صم ١٧ : ٤٨ــ٥١) •

حقيقي أن الحرب للرب ، وأن الرب هو الذي حبس جليات في يد داود ، ولكن كان لا بد لداود أن يحارب ، وأن يتقدم الصف ويركض وينتخب حجارة معينة ، وأن يضع الحجر في المقلاع ، ويسدد بمهارة• وكان لا بد أيضاً أن يخترط السيف ، ويتمكن من الرجل ويقتله ••• وكل هذه أعمال •••

ومع كل هذه فنحن نرجع الفضل في هذا الانتصار الى الله ، وليس الى داود • لأنه كان من الممكن أن الحصــــاة لا تأتي في موضـــع قاتل بالنســـبة لجليات فلا يموت بها • ومع أن داود حارب بكل مهارة ، وانتصر ، فاننا مع ذلك نردد قول بولس الرسول « ليس لمن يشــاء ولا لمن يسعى بل لله الذي يرحم » • لا بد من الجهاد والعمل ، ومع الجهاد والعمل ننسب النصر لله •

الايمان والعمل معاً :

هكذا أيضاً في الجهاد الروحي ••• هي حرب بلا شك• **أنت تحارب بكل ما عندك من قوة ، والقوة التي عندك هي من الله • تحارب بكل ما تملك من سلاح ، وهذا السلاح هو ســلاح الله الكامل** • لا تقل : أني أنام،وأسبح في الأحلام،وفي أحلامي أرى الله ينقذني بالنعمة•••! ان الله لا ينقذ الكسالى،والنعمة ليست تشجيعاً على التراخي والتهاون•

تلميذ لا يذاكر ، ويذهب الى الكاهن يطلب صــلاته لكي ينجح ، مؤمناً بقوة الصلاة ••• ما الحكم على هذا المثال ؟ ان الايمان بدون أعمال ميت • على التلميذ أن يذاكر ، ويطلب الصلاة أيضاً • وهكذا يتحد الايمان والعمل معاً •

يقول البعض ان الجهـــاد هو ذراع بشري « وملعون من يتكل على ذراع بشر » • **والحقيقة** أن الجهاد **يصـــبح** ذراعاً بشرياً ، **لو اعتمد** الانسان على ذاته فقط ، أي **لو** اعتبر أنه بمجرد جهاده يخلص دون عمل النعمة معه ! هنا يقف أمامه قول الســيد الرب « لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) •

ان الحرب بدون سلاح لا تصلح • والسلاح وحده بدون حرب ، وبدون انسان يستعمله جيداً ، لا يمكن أن يجلب النصر • الاثنين متلازمان • وقد قال بولس الرسول « ان كان أحد يجاهد ، لا يكلل ان لم يجاهد قانونياً » (٢تي ٢ : ٥) • اذن لا بد أن تجاهد، وتجاهد جهاداً قانونياً وبهذا تخلص •

جهاد الرسل والرعاة :

هل الرسل لم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان بولس الرسول نفسه يقول « أنا تعبت أكثر من جميعهم » (١كو ١٥ : ١٠)• كلهم تعبوا ، وبولس تعب أكثر ، تعباً سجله في رسالته الثانية الى كورنثوس (٢كو ١١ : ٢٣–٣٣) • فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ، لماذا اذن يتعب بولس ؟ وما لزوم الكرازة والوعظ والنصح والتبشير والرعاية والتعب ؟ ما دامت النعمة تعمل كل شيء !!•

لماذا يتعب الراعي ، ويرعى ويفتقد ويجاهد ؟ أليس الله قادرأن يتكلم في قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟! ما لزوم الرسل اذن والرعاة والوعاظ؟! وما لزوم كل جهاد ؟ وهل نسمي كل هذا نزاعاً بشرية ؟•

لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن اذن ينام ، ويصلي في قلبه قائلا : أنت يارب الذى تتولى رعاية شعبك• من أنا حتى أجاهد وأرعى؟!ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لك·أنت الذى ترعى الشعب!!

والواعظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه أن ينام في البيت مستريحاً ويقول : نعمتك يا رب هى التى تتكلم في قلوب الناس وترشدهم وتخلصهم !!•

وأنت ، لماذا تتعب نفسك في حياتك الخاصة ، في الصلاة وفي الصوم وفي الجهاد • استريح معتمداً على أن النعمة تعمل كل شيء !•

العمل مع الله :

ونقول هذا لأنه كم من أناس ضيعوا آخرين بنصيحة خاطئة يقولون فيها : لا تجاهد • لماذا تجاهد ؟ ان الله لا يبدأ في العمل معك الا عندما تقف أنت ! فأبطل عملك لكى يعمل الله !!•

ما هذا الكلام العجيب القاتل ؟ ما معنى أن تبطل عملك لكى يعمل الله ؟! لماذا لا تشترك فى العمل مع الله ، فيعمل الله معك ، ويعمل

الله فيك ، ويعمل الله بك . كما قال بولس عن نفسه وعن أبلوس « فاننا نحن عاملان مع الله » (١كو ٣ : ٩) .

لماذا نفصل عملنا عن عمل الله ؟ لماذا لا نعمل سوياً ، نشترك معه وهو معنا . وهكذا يتكلم يوحنا الرسول عن الرب وعن «الشركة معه» (١يو ١ : ٦) . كما يتكلم بولس الرسول عن شركة الروح القدس.

الله بنعمته ، بقوته ، بروحه القدوس ، يقول لك : أنا أريد أن أعمل معك لتخليصك . فان قبلت العمل معى تخلص ، وأن لم تقبل فانك تحرم نفسك من هذا الخلاص .. أنا واقف على الباب ، أعرض نعمتى ومحبتى وقوتى ومعونتى وكل الامكانيات اللازمة لخلاص النفس التى أقرع على بابها . ولكن .. ان فتح أحد الباب لى ، ان قبل أن يعمل معى ، ان سلمنى أحد ذاته لكى أعمل فيها ، ان استسلم أحد لعملى ، حينئذ أشترك معه وهو معى .

مثال من التطرف :

من أسواء ما قرأت في حياتى عن التطرف في انكار قيمة الأعمال ، ما كتبه ف.ب. ماير في كتابه (مخلصون ومحفوظون) **ان أشد البروتستانت تعصباً في محاربة الجهاد ، يقولون أن للانسان جهاداً واحداً في حياته هو جهاد الصلاة . أما ف.ب. ماير هذا فانه يحارب أيضا الجهاد في الصلاة .**

فيقول تحت عنوان (عندما كففت عن مجهوداتى): « ليس أمامك الا أن تدرك هذه الحقيقة ، وهى أنك **طالما كنت تصارع مع الله فانك تخسر أثمن بركاتك** !. لقد صارع يعقوب مع الله طول الليل ولم يتقدم خطوة واحدة . وعندما لم يستطع أن يصارع بعد ، لأن حق فخذه قد انخلع ، وكان على وشك السقوط ، نال البركة التى جعلته رئيساً » !!.

ويستطرد ماير فيقول : « لقد تأوهت وجاهدت وتوسلت لكن بلا جدوى . **والآن أصمت واسكت !! ان مجهوداتك الجبارة زادت أمورك تعقيداً** » !! ويظل هذا الكاتب البروتستانتى يحارب الصلاة والجهاد والتوسل والصراع مع الله ، الى أن يقول « **اعلم ان الله قادر أن يخلصك ... لقد كان منتظراً كل هذا الوقت الطويل ليخلصك ، وحالما تنتهى مجهوداتك سيبدأ هو** » !! وهكذا يدعو الى ابطال السعى،

قائلا في باب آخر عنوانه (لا نسعى بل نتقبل) : « انك لن تحصل على البركة التى تتوق اليها بالكفاح والنضال بصرخاتك القوية وصلواتك ، بعزيمتك ومساعيك · بل بأن تهدىء نفسك أمام الله وتقبل النعمة » ·

ثم شرح مثلا لفشل مجهودات الصلاة ، فروى قصة عن انسان ظل يجاهد سنتين، رفع فيهما صلوات الى الله ليهبه قوة للتغلب على تجربته· وبدا أن الصلوات لم تسمع · ولما يئس جداً ، ولما أبطل الصلاة ، بدأ الله يعمل ···!!!

هل هذا تعليم يرضى ضمير أحد ؟! والكتاب يدعونا في كل أسفاره، أن نجاهد في الصلاة وأن نصلى بلا انقطاع وأن نسهر ونصلى ··· ولكنه التطرف البروتستانتى في انكار قيمة الجهاد حتى في الصلاة !!·

التداريب الروحية :

ان البروتستانت ومن اليهم ممن يحاربون الجهاد والعمل، يحاربون أيضاً التداريب الروحية ، كما لو كانت هى أيضا اعتماداً على ذراع بشرية ···

ونحن نقول انه اذا سلك الانسان في التدريب الروحى معتمداً على قوته الخاصة ، فانه يخطىء ولا شك · جيد أن يدرب الانسان نفسه ، ولكن معتمداً على قوة الله ، مردداً قول بولس الرسول « أستطيع كل شىء في المسيح الذى يقوينى » (في ٤ : ١٣) ·

وبولس الرسول يتحدث عن تداريبه فيقول في سفر الأعمال « كذلك انا أيضا ادرب نفسى، ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس» (أع ٢٤ : ١٦) · ويقول في رسالته الى فيلبى « وفي جميع الأشياء **قد تدربت أن أشبع وأن أجوع** ، وأن أستفضل وأن أنقص » (في ٤ : ١٢) ··· لقد تدرب في كل شىء ، وأصبحت له الحواس مدربة (عب ٥ : ١٤) ·

لا مانع اذن من أن يستخدم المؤمن التداريب الروحية ، بل أن يصلى الى الله ويقول « دربنى في حقك وعلمنى » (مز ٢٥ : ٩) · ولكن في كل هذه التداريب يعتمد على قوة الله التى تعينه · وفي كل نجاح له ينسب الفضل لله وليس لشجاعته الخاصة وضبطه لنفسه ·

الفصل الرابع

الثقة وضمان الملكوت

سؤالان يمران باذهان الكثيرين :

١ ــ ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟

٢ ــ هل يحق للمؤمن أن يعتبر نفسه ضامناً للملكوت ؟

فما هي الاجابة عنهما ؟

ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟

أ ــ ثقة في الله ، غير محدودة :

أتسأل : ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟ في الواقع ، ليس لهذا الرجاء حدود. فبمقدار ما تكون مراحم الله، هكذا يكون الرجاء فيها. **وما دامت مراحم الله غير محدودة ، هكذا ايضا الرجاء في مراحم الله غير محدود .**

ان الرجاء هو احدى الفضائل الثلاث الكبار (١كو ١٣:١٣) . وهو ــ ككل فضيلة ــ ينمو في الانسان حتى يصل الى كماله النسبى فيه ولا يبلغ الرجاء كماله، الا اذا خلا من كل شك، وتثبت بكل يقين.

وثقة الرجاء تأتي من أمرين : احداهما يتعلق بالله ، والثاني بالانسان نفسه . أما عن الرجاء ــ من جهة الله ــ فهو يبنى على الايمان بصفات الله ، ومعاملاته السابقة ، وكفارة دمه ، وصدق مواعيده .

ومن صفات الله انه غير محدود في رحمته وشفقته ومغفرته ومحبته، وانه لا يسر بموت الخاطيء ، بل بأن يرجع ويحيا (حز ١٨ : ٢٣) .

ومعاملات الله السابقة تثبت لنا هذه الصفات ... وكفارة دمه غير محدودة ، كافية لغفران خطايا العالم كله من أول الدهور الى آخرها . أما وعوده فهي كثيرة وصادقة تفتح أبواب الرجاء واسعة أمام التائبين.

هذه هي احدى زوايا الرجاء . ومن ينظر منها الى الأبدية، يشع أملاً. أما الزاوية الأخرى فهي الانسان ذاته . فهل نظرة الانسان الى ذاته يمكن أن تجلب الثقة بأنه ضامن للملكوت ؟

ب ـ عدم ثقة بارادتنا الخاصة :

لست أميل الى الترتيلة التي تقول « اني واثق ... » هي ترتيلة بروتستانتية بلا شـــك . وعلى الرغم من أن بعض ألفاظها سـليمة وصحيحة ، الا أنها ـ في مجموعها ـ تعطي تعليماً بروتستانتياً غير سليم .

ان سالك أحد « هل أنت واثق ؟ » فبماذا تجيب ؟...

نعم ، أنا واثق بدم المســيح ، ثقة لا حدود لها ؛ ولكنني لا أثق بنفسي . لا أثق بحرية ارادتي ، التي ربما تميل الى الشر . وبعدما بدأت بالروح ، ربما أكمل بالجسد (غل ٣ : ٣) .

ولذلك فان الذين يفقدون الخلاص ، يفقدونه ليس بسبب أن الله عاجز عن أن يخلصهم ، وانما بسبب أن ارادتهم الحرة قد انحرفت نحو الشر ...

فهل يفقد الانسان الرجاء ؟ كلا فهذا تطرف وقع فيه قايين ـ أول خاطىء من بني آدم ـ حينما قال « ذنبي أعظم من أن يحتمل » (تك ٤ : ١٣) . وفي قطع الرجاء وقع يهوذا أيضاً ، اذ مضى وخنق نفسه (متى ٢٧ : ٥) .

وكما يخطىء الانســان اذا فقد الرجاء ، يخطىء أيضا اذا اعتمد على رجاء كاذب مبني عـلى بره الذاتي . **ويخطىء كذلك اذا كان في اعتماده على دم المسيح ، ينسى اجتهاده واحتراسه ، ولا يفعل ما يجعله مستحقا لفاعلية دم المسيح ...**

ويخطىء من يظن أنه لا صـلة له بالخطية على الاطلاق ، وأنه قد تجدد وقد تقدس واصـبح في حياة أخرى لا يمكن فيها أن يخطىء .

هذا أيضاً رجاء كاذب . ويختفى وراءه لون من البر الذاتى ، سواء كان يدرى به صاحبه أو لا يدرى ...

اننا نثق بدم المسيح ، ونثق بكفارته وفدائه . ولكننا ــ في داخل أنفسنا ــ نعترف بأننا خطاة ، ونعترف بأنه ما أسهل أن تضيعنا خطيئتنا ...

ان الذى يقول « أنا ضامن للملكوت » كأنه يقول : « أنا ضامن أننى سوف لا أخطىء . وان أخطأت، فأنا ضامن اننى سوف أتوب توبة صادقة مقبولة !! » أو لعل مثل هذا يحتج على كلامى ويقول : كلا ، سوف لا أتحدث عن التوبة . وانما ان أخطأت « فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار ، وهو كفارة عن خطايانا »(١ يو ٢ : ١،٢)...

نعم ، يا أخى . هو كفارة عن خطايانا . ولكنه هو أيضاً الذى قال « ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) . هل تظن أنه سيشفع فيك دون أن تتوب ؟! كلا ، ان هذا وهم باطل . فاهتم بأبديتك اذن وتب . وأعرف أن الذى لا يتوب، سوف لا يشفع المسيح فيه . وانما ينذره قائلاً : « احفظ وتب . فانى ان لم تسهر ، أقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٣) .

تواضع اذن يا أخى . واستمع الى قول بولس الرسول منذراً « ... اذن من يظن أنه قائم ، فلينظر أن لا يسقط »(١كو١٠:١٢).

انك لست أقوى من الذين سقطوا ، بل ربما لم تصل الى شىء من درجتهم بعد ، قبل سقوطهم . انظر ماذا يقول بولس الرسول ، وتمعن جيداً في الصفات التى يوردها . انه يقول « لأن الذين استنيروا مرة ، وذاقوا الموهبة السمائية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى، وسقطوا ... » [عب ٦ : ٤ـ٦] .

يا للهول ، ويا للخوف !! هل وصلت يا من تضمن الملكوت الى هذه الدرجات العالية التى كانت لأولئك ؟! هل استنرت ، وصرت شريكاً للروح القدس ، وذقت الموهبة السماوية وكلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى ؟! **ومع ذلك فان الذين نالوا كل هذه المواهب قد سقطوا . ولم يسقطوا فقط بل هلكوا** . لأن الرسول يقول انه «لا يمكن تجديدهم

أيضاً للتوبة » ويشبههم بأرض « مرفوضة وقريبة من اللعنة ، التى نهايتها الحريق » (عب ٦ : ٦،٨) ٠

جـ ـ هل خلصت أم لم تخلص ؟

قال لى أحد الشبان : « بماذا أجيب اذن ، ان سألنى شخص قائلا « هل خلصت أم لم تخلص ؟ » ٠٠٠

أولا يجب أن تدرك أن من يسألك هكذا ليس أرثوذكسياً خالصاً ٠ لا بد أن يكون بروتستانتى المذهب ، أو على الأقل بروتستانتياً فى بيئته وثقافته ٠ لأن الذى يتجاهل معموديتك ، وما نلته من الأسرار المقدسة ، ويلقى فى نفسك الشك فى ايمانك ، ويدعوك من الآن الى الايمان والى الخلاص ، كما لو كنت وثنياً فى حياتك السابقة !! مثل هذا ، لا يمكن أن يكون أرثوذكسياً ، فلغته تظهره ٠

أما الاجابة على سؤاله فهى : نعم ، اننى خلصت فى المعمودية من الخطية الأصلية ، الخطية الجدية الموروثة ٠ نلت هذا الخلاص الأول بدم المسيح وفاعلية كفارته وفدائه ٠ أما الخلاص النهائى ، فننالـه بعد أن نخلع هذا الجسد ٠ اننا ما نزال فى حرب ، « ومصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع ٠٠٠ أجناد الشر الروحية » (أف٦:١٢)٠ وسننال الخلاص عندما نغلب وننتصر فى هذه الحرب ٠٠٠

وطالما نحن فى الجسد، لا نستطيع أن نقول اننا انتصرنا وخلصنا ٠ لذلك فالكنيسة المقدسة لا تعيد للقديسين فى يوم ميلادهم الجسدى ، ولا فى يوم انضمامهم الى الكنيسة ، وانما فى يوم نياحتهم ، أو استشهادهم ، عملا بقول الكتاب « انظروا الى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) ٠ وهكذا فى مجمع القديسين فى القداس الالهى ، نذكر نفوس جميع الأبرار الذين كملوا فى الايمان ، أو اكتملت حياتهم فى الايمان ٠٠٠

نذكر هنا قصة نياحة القديس العظيم الأنبا مقاريوس الكبير ، الذى طاردت الشياطين روحه بعد خروجها من الجسد ، قائلين له « خلصت يا مقاره » وكيف لم يقل لهم « نعم ، بنعمة المسيح خلصت » الا بعد أن دخل الفردوس ٠

د ـ لتكن اجابتكم من ايمان الكنيسة :

ان سئلتم سؤالا عقيدياً ، فلا تجيبوا مطلقاً معتمدين على فكركم الخاص أو فهمكم الخاص • فقد قال الكتاب « على فهمك لا تعتمد » (أم ٣ : ٥) •

انت ابن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، جاوب اذن بايمان الكنيسة القبطية الأرثوذكسية • ايمانها كما يظهر في كتبها الكنسية المعترف بها ، وكما يظهر في أقوال آبائها ، وفي قوانينها وتقاليدها • وسأنظر الآن الى كتابين هامين من كتب الكنيسة هما الخولاجي المقدس والأجبية ، وأرى ماذا يعلماننا في موضوعنا هذا •••

انك تصلي كل يوم في صلاة الغروب وتقول « اذا كان البار بالجهد يخلص ، فأين أظهر أنا الخاطيء » • « احسبني يا الله مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، لأني أفنيت عمري في اللذات والشهوات ، وقد مضى مني العمر وفات » • « لكل اثم بحرص ونشاط فعلت ، ولكل خطية بشوق واجتهاد ارتكبت ، ولكل عذاب وحكم استوجبت » •

هل في عبارة واحدة من كل هذا،ما يدل على انك قد خلصت وضمنت الملكوت وانتهى الأمر • أم هي صلوات من نفس منسحقة معترفة بخطاياها، معترفة بأنها تستحق كل عقوبة، طالبة الرحمة من الرب؟•

بنفس هذا الانسحاق تقف أمام الله في صلاة النوم وتقول « هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب من أجل كثرة ذنوبي ، لأن العمر المنقضي في الملاهي يستوجب الدينونة • لكن توبي يا نفسي مادمت في الجسد ساكنة ••• » • وتوبخ نفسك قائلا « اذا انكشفت أفعالك الرديئة وشرورك القبيحة ، أمام الديان العادل ، فأي جواب تجيبي ، وأنت على سرير الخطايا منطرحة ، وفي اخضاع الجسد متهاونة !؟ » •••

انه انسحاق العشار الواقف أمام الله في ذلة ، وليست كبرياء الفريسي ••• اننا لا نقف كأبرار قد تجددوا وتقدسوا ، ونالوا الخلاص ، وضمنوا الملكوت انما في كل صلاة نعترف باستحقاقنا للدينونة ونطلب الخلاص •••

وهكذا في صلاة « تفضل يا رب » في صلاة النوم ، يتضرع كل منا قائلا : « أنا طلبت الى الرب وقلت : ارحمني وخلص نفسي ، فاني

أخطأت اليك . التجأت يا رب اليك ، فخلصني ، وعلمني أن أصنع مشيئتك » .

وصلاة الساعة السادسة نستهلها بقول المزمور « اللهم باسمك خلصني » (مز ٥٣ : ١) . ونقول فيها « مزق صك خطايانا ، أيها المسيح الهنا ونجنا » .

وهكذا تعلمك الكنسية أن تتضرع الى الرب كل يوم أن يمزق صك خطاياك ، مختتماً هذه القطعة من الصلاة بقولك « كلامي أقوله ، فيسمع صوتي ، ويخلص نفسي بسلام » .

انك نلت خلاصاً في المعمودية من خطيئتك الأصلية ، ومات انسانك العتيق ، عندما مت مع المسيح ودفنت معه . ولكنك مع ذلك ، ما تزال تخطىء كل يوم . وان قلت انك لا تخطىء تضل نفسك ولا يكون الحق فيك (١ يو ١ : ٨) .

انت تخطىء كل يوم ، وأجرة الخطية الموت . اذن فانت تتعرض للموت كل يوم . وتحتاج في كل يوم الى الخلاص . تحتاج الى دم المسيح يومياً ليطهرك من كل خطية . لذلك تحتاج باستمرار الى أن تعترف بخطاياك ، وتتوب ، وتتناول من جسد الرب ودمه الذى « يعطى عنا خلاصاوغفرانا للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » حسبما تعلمنا صلوات القداس الالهى .

انه خلاص يتجدد باستمرار ، تطلبه كل يوم ، وتأخذه في كل توبة، وفي كل تحليل يصليه الكاهن على رأسك ، وفي كل تناول من جسد الرب ودمه .

نرجع بعد هذه المقدمة الى موضوع الثقة وضمان الملكوت .

★ ★ ★

أسس الثقة وشروطها

كما يشرحها يوحنا الرسول

ثقة بولس ويقينه :

الذين يتكلمون عن ضمان الملكوت ، يعتمدون أولا على قول بولس الرسول «فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم المسيح ٠٠٠» (عب ١٠ : ١٩) ٠ وكذلك قوله عن نفسه « لأنني عالم بمن آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعته الى ذلك اليوم » (٢تى ١ : ١٢) ٠ وقوله أيضاً « وأخيراً وضع لى اكليل البر » (٢تى ٤ : ٨) ٠ وغير ذلك من النصوص المقدسة التى يعتمد عليها الكثيرون **قائلين انهم يعيشون في « يقين بولس » !!٠**

وسوف نتناول بنعمة الرب كل تلك النصوص بالشرح والتعليق في الصفحات المقبلة ان شاء الله ٠

غير اننا نود أن نفهم أولا على أى أساس تبنى هذه الثقة ٠
لذلك لسنا نجد ــ في مقدمة موضوعنا هذا ــ خيراً من التوضيح الجميل الذى قدمه لنا معلمنا يوحنا الرسول ، عن شروط الثقة وأسبابها وأساسها ٠

فما هى الأسس التى تحدث عنها يوحنا الرسول ؟٠

١ ــ شرط راحة الضمير :

يقول القديس يوحنا الرسول « أيها الأحباء ، ان لم تلمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله » (١ يو ٣ : ٢١) ٠ هنا شرط : ان لم تلمنا قلوبنا ٠ أى ان كان ضميرنا لا يلومنا أو لا يبكتنا على شىء ٠ ان كنا لا نخطىء في شىء يجعل قلوبنا تلومنا ٠٠٠

مصدر الثقة هنا اذن ، وأساسها الذى تبنى عليه ، هو أن قلوبنا تكون راضية من جهة علاقتنا بالله ، لا تلومنا على شىء ٠ أما اذا لامتنا، فان الثقة بالتالى تتزعزع بلا شك ٠

اذن تاتى الثقة من راحة الضمير • وكيف تاتى راحة الضمير هذه؟
يوضح القديس يوحنا هـذه الفكرة فيقول « ان لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله • ومهما سألنا ننال منه ، لأننا نحفظ وصاياه، ونعمل الأعمال المرضية أمامه « (١ يو ٣ : ٢١،٢٢) •

لقد اتضح اذن مصدر هذه الثقة • وهو أننا نحفظ وصايا الله ، ونعمل الأعمال المرضـيـة أمامه • هذا هو حجر الزاوية في التعليم • طالما نحفظ وصايا الله ونعمل الأعمال المرضـيـة أمامه ، فان ضميرنا يكون مستريحاً ، ولا يوجد شيء تلومنا قلوبنـا عليه ، وحينئذ يكون لنا ثقة من نحو الله •

ماذا قال معلمنا يوحنا الرسول أيضاً ؟•

٢ ــ شرط الثبات في المسيح :

يقول « والآن أيها الأولاد ، اثبتوا فيه • حتى اذا أظهر ، يكون لنا ثقة ، ولا نخجل منه في مجيئه • ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (١ يو ٢ : ٢٨،٢٩) •

هنا شرط آخر للثقة ، وهو أن نكون ثابتين في المســيح • فان لم نثبت في المسـيح ، لا تكون لنا ثقة ، ونخجل منه في مجيئه ••• انه تعليم واضح •

هل تقول اذن : أنا خلصت ، انى واثق ، أنا ضامن للملكوت !!• بينما ضميرك يوبخك على سلوك معين ، أو أنت غير ثابت في المسيح • حينئذ تكون في موقف من يخدع نفسه ، أو من يتكلم كلاماً في الهواء •

أتريد أن تكون لك ثقة ؟ اثبت في المســيح • وان أردت أن تعرف ما معنى الثبات فيه ، تعال بنا نسأل الكتاب ونسترشد به :

يقول بولس الرسول « اثبتوا اذن في الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضاً بنير عبودية » (غل ٥ : ١) • أى لا تســمح لأية خطية أن تستعبدك •

وماذا أيضاً في معنى الثبات ؟•

يقول يوحنـا الرسول موضحاً « كل من يثبت فيه لا يخطىء • كل من يخطىء ، لم يبصره ولا عـرفه » (١ يو ٣ : ٦) • اذن ان كنت

تخطيء ، فأنت غير ثابت فيه · وان كنت غير ثابت فيه ، فلا تكون لك ثقة · وحينئذ تخجل منه في مجيئه ·

ما أسهل اذن أن تقول اني واثق ، أو تقول اني ضامن للملكوت ، دون أن تقدر ما يقوله الكتاب في شرح معنى هذه الثقة ، التي تتطلب منك أن لا تخطيء ···

يؤكد يوحنا الرسول هذا المعنى ، فيقول في نفس رسالته : **« من يحفظ وصاياه يثبت فيه ، وهو فيه »(١ يو ٣ : ٢٤) · هذا هو الثبات المتبادل ، يأتي عن طريق حفظ الوصايا ·**

ولكن الى أية درجة يحفظ الانسان الوصايا ؟ يجيب الرسول :

«من قال انه ثابت فيه ، ينبغي أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضا» (١ يو ٢ : ٦) ·

من يجرؤ بعد هذا النص الصريح أن يقول انه ثابت في الرب ؟!· وان كنا غير ثابتين، فكيف اذن تكون لنا ثقة، ولا نخجل منه في مجيئه ·

اذن بدلا من عبارة اني واثق، واني ضامن ، يحسن بعد هذا كله ، أن نقف مع العشار المتسحق ، ليقرع كل منا قلبه ويقول « ارحمني يا رب فاني خاطيء » (لو ١٨ : ١٣) ·

تستطيع أن تقول انك واثق وانك ضامن الملكوت ، ان كنت على الدوام ثابتاً في المسيح ، كما سلك هو تسلك أنت أيضاً · أو على الأقل ان كنت على الدوام تحفظ وصاياه ، وتفعل في كل حين ما يرضيه · لأن الرسول يقول « وأما الذي يصنع مشيئة الله ، فيثبت الى الأبد » (١يو ٢ : ١٧) · ويقول أيضاً « ان ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء فأنتم أيضاً تثبتون في الابن وفي الآب » (١يو ٢ : ٢٤) ·

ورب المجد نفسه يشرح لنا أهمية الثبات فيه ، فيقول « ان كان أحد لا يثبت في ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق » (يو ١٥ : ٦) ·

أتريد اذن أن تثبت فيه كالغصن ، وتسرى فيك عصارة الكرمة فلا تجف ، ولا تلقى الى النار فتحترق ، اسمع الرب يقول ، « من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يثبت في وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) · وماذا أيضاً يا رب ؟ يقول « ويحيا الى الأبد » (يو ٦ ٦ :٥٨) ·

اذن فمن شروط الثقة : راحـة الضمير ، والثبات في الرب ، بكل ما يحمل هذان الشرطان من تفاصيل · فما هو الشرط الثالث اذن ؟ انه :

٣ ــ شرط المحبة الكاملة :

قال الرسول انه من ضمن شروط الثقة ، أن يثبت الانسان في الله. ولكي يثبت في الله ، ينبغي أن يثبت في المحبة ، لأن الله محبة · وهكذا قال القديس يوحنـا الحبيب « الله محبة · من يثبت في المحبة يثبت في الله ، والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦) ·

فان ثبت الانسـان فيمحبة الله ، وتكاملت محبته ، حينئذ تكون له ثقة · ولهذا يتـابع الرسول كلامه فيقول « بهذا تكملت المحبة فينا ، أن يكون لنا ثقة في يوم الدين » (١ يو ٤ : ١٧) ·

وكيف نثبت في محبة الله ؟ يقول الرب نفسه « ان حفظتم وصاياى، تثبتون في محبتى، كما انى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت في محبته» (يو ١٥ : ١٠) · لكي نصل اذن الى المحبة الكاملة التي تجلب الثقة، علينا بلا شك أن نكون كاملين في حفظ وصاياه ·

وطبيعى اننا ان وصلنا الى هـذه الثقة كنتيجة للمحبة الكاملة ، حينئذ لا نخاف بل نطمئن· ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « لا خوف في المحبة · بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » (١يو٤:١٨) ·

فهل وصلت أيهـا الأخ الى المحبة الكاملة ؟ هل اصبحت تحب الرب من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ؟ وهـل في محبتك لله أصبحت تبغض العـالم بكل ملاذه وشهواته وأمجاده ، وتبغض حتى نفسـك ؟ ان كنت كذلك ، وان استمر الحال بك كذلك ، فطوباك · **لك أن تثق ، طالما أنت ثابت في هذه المحبة الكاملة ·**

كلمة ختامية :

اذن فالثقةكما يشرحها معلمنا القديس يوحنا الرسول،لها شروط· ومن شروطها أن يحفظ الانسان وصايا الله ويعمل كل حين ما يرضيه، حتى يرتاح بذلك ضـميره ، ولا يلومه قلبه على شيء · ومن شروطها الثبات في المسيح ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى · ومن شروطها

الوصول الى المحبة الكاملة من نحو الله ، حتى تستطيع المحبة أن تطرح الخوف الى خارج .

ان وصـــول الانسان الى هذه الدرجات ، تكون له الثقة الكاملة ، ويصل الى « يقين بولس » الذى يتغنون به ، والذى سنشرحه الآن .

صـدقونى ، ان كثيراً من الذين يقولون انهم واثقون وضامنون ، تفكيرهم سطحى جداً ، ولم يصلوا الى الفهم الحقيقى لمعنى هذه الثقة كما شرحها القديس يوحنا الرسول .

الثقة واليقين

في رسائل بولس الرسول

١ ـ يقين بولس واكليله :

يقولون انهم واثقين من الخلاص لأن بولس الرسول قد قال «وأخيراً وضع لي أكليل البر » (٢تي ٤ : ٨) . وأيضاً لأنه قال « لأنني عالم بما آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعته الى ذلك اليوم » (٢ تي ١ : ١٢) .

أ ـ من قال هذا الكلام ؟ :

أول شيء ينبغي أن نعرفه هو : من قال هذه العبارات ؟ لقد قالها بولس الرسول وهو من أكبر الرسل بلا منازع ، بولس الذى قال «مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في » (غلا ٢ : ٢٠) . بولس الذى قال « فاني متيقن أنه لا موت ولا حيـــــاة ، ولا ملائكة ولا رؤســاء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مســتقبلة ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليقة أخرى ، تقدر أن تفصـلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا » (رو ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

لقد قال هـذا الكلام بولس الذى اختطف الى السماء الثالثة ... الذى أشفق الله عليه من فرط الاعلانات (٢كو ١٢ : ٢،٧) ...

فهل أيها الواثق تشبه بولس الرســـول فيما وصل اليه من سمو وروحانية ونعمة ؟! لا يجوز مطلقاً أن تأخذ حالة القديسين وتنسبها

الى نفســك . ان كان بولس موقناً ، فليس معناه أنك كذلك ... ثم هناك نقطة أخرى وهي :

ب ـ متى قال القديس بولس هذا الكلام ؟ :

قال مار بولس هذه العبارات وهو في أواخر أيامه لذلك قال قبلها مباشرة « فاني أنا الآن أسـكب سـكيباً ، ووقت انحـلالى قد حضر » (٢ تى ٤ : ٦) . وقال هذا أيضاً بعد أن جاهد الجهاد الحسن ، وأكمل السعى ، وحفظ الايمان » (٢ تى ٤ : ٧) .

ولا مانع مطلقاً ـ بالنسبة الى انسان بار قديس في أواخر أيامه ـ أن يعطيه الرب ثقة ورجاء ، أو أن يجعله يرى الاكليل الذى ينتظره، كما كان بعض الشهداء يرون أكاليلهم قبل سفك دمائهم من أجل المسيح.

ومع ذلك فلنفحص هاتين العبارتين بالتدقيق ، ونرى على أى شيء يدلان .

جـ ـ « انى موقن أنه قادر » :

يقول بولس الرسـول أنه موقن بأن الله قادر أن يحفظ وديعته ، فماذا تعنى هذه العبارة ؟ لا شـك أن الله قادر على أن يحفظ وديعة أى انسان ، ولكن ماذا عن الانسان ذاته ؟ في أى اتجاه تسير ارادته ؟.

ان الله قادر ، وربما أنت لا تريد... الله قادر أن يحفظ وديعتك، وأنت ربما تلقيها بحرية ارادتك الى الجحيم ... ألم يقل « كم مرة أردت ... ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) .

ان قدرة الله أمر لا يشك فيه أحد . ولكن قدرة الله لا تلغى حرية ارادتك . بالنسبة الى مار بولس الرسول ، كانت حرية ارادته متفقة اتفاقاً كاملا مع قدرة الله على حفظ وديعته . فهل أنت كذلك ؟!.

تتناول بعد هذه العبارة الأخرى التى قالها الرسول :

د ـ « أخيراً وضع لى اكليل البر » :

قال بولس الرسول « أخيراً قد وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى في ذلك اليوم الرب الديان العادل » . قال ان الاكليل قد وضـع ، ولم يقل أنه قد أخذ الاكليل، فالاكليل موضوع يأخذه البار في ذلك اليوم.

وكم من اشــــخاص وضـــع لهم هـــذا الاكليل وفقــدوه .
لذلك ينذر الرب ملاك كنيسة فلادلفيا ، قائلا له « تمسك بما عندك ، لئلا يأخذ أحد اكليلك » (رؤ ٣ : ١١) .

هـ ــ ماذا قال الرسول في نفس رسالته ؟ :

ان بولس الرسول الذى قال العبارات السابقة في رسـالته الثانية الى تيموثيئوس ، قال أيضاً في نفس الرسالة « صادقة هى الكلمة أنه ان كنا قد متنا معه ، فسـنحيا أيضاً معه . ان كنا نصبر ، فسـنملك أيضاً معه . **ان كنا ننكره فهو أيضا سينكرنا** »(٢تى ٢ : ١١،١٢).

ففى قوله « ان كنا ... » دليل على أن الأمر في خلاصنا لا يتوقف على الله فقط ، بل علينا نحن أيضاً . ان لله عملا في خلاص الانسان ، كما أن للانســـان عملا أيضاً . ولو كان الأمر هو عمل الله وحده ، لزالت بذلك حرية الانسان .

كما نلاحظ أن عبارة « ان كنا ننكره ، فهو أيضاً سينكرنا » دليل على أن الانسان يمكن أن يفقد خلاصه .

٢ ــ الثقة بالدخول الى الأقداس :

ان الذين يتحدثون عن ضمان الملكوت يعتمدون عـلى قول بولس الرسول «فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع... لنتقدم بقلب صادق في يقين الايمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » (عب ١٠ : ١٩ ــ ٢١) .

ان هـذا النص يتحدث عن ثقة الدخول ويقين الايمان ، بشروط أساسية . فعبارة « مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير » تدل على ضرورة النقاوة والتوبة . وعبارة « مغتسلة أجســادنا بماء نقى » تدل على ضرورة المعمودية للخلاص .

فهل اكتفى القديس بولس بكلامه هذا،وبهذين الشرطين فقط ؟ كلا. **اننا ان قرأنا باقى كلامه ، نرى عكس ما يدعيه هؤلاء الواثقون !.** يتابع الرســول كلامه فيقول « لنتمسك باقرار الرجاء راسخاً ، لأن الذى وعد هو أمين » . ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الصالحة .

فما لزوم أهمية المحبة والأعمال الصالحة في موضـوع الثقة هذا ؟ ان القديس بولس يدلل بكلامه على أن الثقة في « الدخول الى الاقداس بدم يســوع » انما تعتمد على أعمال الانسان وسلوكه أيضا ـ والا تزعزعت هذه الثقة وانهارت انهيارا مريعا ·

ولذلك يتابع الرســول كلامه محذراً ومنذراً : « فانه ان أخطأنا باختيارنا ـ بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين » (عب ١٠ : ٢٦،٢٧) · **أين الثقة اذن ، مع وجود هذه الدينونة المخيفة ، ان أخطانا ؟ ألا يستلزم الأمر اذن غاية الاحتراس والحيطة** ، والسلوك في مخافة وانسحاق ، ان كنا تريد أن نتقدم الى الأقداس في ثقة ·

ذلك لأن الرسول الذى تحدث عن هذه الثقة بدم المســيح ، نراه لا ينسى مطلقا عدل الله · بل يتــابع كلامه قائلا « فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب · وأيضاً الرب يدين شعبه مخيف هو الوقوع في يدى الله الحى » (عب ١٠ : ٣٠،٣١) ·

ان هذا يذكرنا بما نعرفه عن البروتستانت من خطورة استخدامهم للآية الواحدة · كان أجدر بهم في معالجة هذا النص المقدس من أقوال مار بولس الرسول ، أن لا يأخـذوا الآية الأولى من الاصحاح مكتفين بها ، دون أن يتابعوا كلام الرسول حتى نهايته ·

ليتهم فعلوا ذلك ، اذن لرأوه يقول أيضاً في موضوع الثقة :

« فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة ، لأنكم تحتاجون الى الصبر، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد »(عب ١٠ :٣٥،٣٦)· حقاً « ان الذى وعد هو أمين » ، ولكن نوال الموعد يتوقف على صنع مشيئة الله ، فاننا بلا شك لا ننال الموعد ، ولا تكون لنا ثقة ·

ما معنى هذا ؟ هل معناه أن الله قد رجع في هباته التى هى بلا ندامة (رو ١١ : ٣٩) ؟· كلا ، ان هبات الله هى حقا بلا ندامة ، ولكن لها شروطا · فاذا لم تنل هباته ، لا يكون هو الذى رجع في هباته ، وانما تكون أنت الذى خالفت الشروط · ان الله أمين في وعده · ولكنه قال لنا على فم رسوله بولس « اذا صــنعتم مشــيئة الله ، تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٦) ·

وواضح أن عمل مشيئة الله يستغرق العمر كله. لذلك قال الرسول « لأنكم تحتاجون الى الصبر » . ومعنى هـذا أن نصبر العمر كله في مرضاة الله ، حتى ننال موعده ..

يظهر من كلام القديس بولس الرسـول في هذا الاصحاح اذن أن « الثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسـوع » تحتاج الى أمور كثيرة : تحتاج الى قلب صادق ، وحياة توبة ونقاوة ، وأجسـاد مغتسلة بماء المعمودية النقى، كما تحتاج الى التحريض على المحبة والأعمال الصالحة، والى صنع مشيئة الله ، والصبر على كل ذلك ، والاحتراس من فعل الخطيئة ، والا فان أخطأنا باختيـارنا ، نتعرض لدينونة مخيفة ، ومخيف هو الوقوع في يدى الله الحى .

٣ ـ الاجتهاد والصبر ، لحفظ الثقة :

ان الصبر الذى تحدث عنه بولس الرسـول في قوله « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم **تحتاجون الى الصبر،** حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٥، ٣٦) . يعود فيتحدث عنه مرة أخرى قائلا :

« ... لكننا نشتهى أن كل واحد منكم يظهر هذا الاجتهاد عينه ليقين الرجاء الى النهاية » (عب ٦ : ١١) . **اذن فيقين الرجاء يحتاج الى اجتهاد يظهره الانسان، حتى النهاية .** والى ماذا أيضاً ؟ يتابع الرسول كلامه فيقول « لكى لا تكونوا متباطئين ، بل **متمثلين بالذين بالايمان والأناة** يرثون المواعيد » (عب ٦ : ١٢) .

هنا نرى بولس قد أضـاف الى الايمان شيئاً آخر ، هو الأناة أى الصبر ، وقال بهما ننال المواعيد ...

الم يقل الرب من قبل « بصبركم اقتنوا أنفسكم » (لو ٢١:١٩) ؟ وقال أيضاً « من يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) .

اننا نلنا خلاصاً بالايمان في المعمودية . ولكن هذا الخلاص تتضافر قوى كثيرة ضده لكيما تفقدنا اياه : فضده ارادتنا الضعيفة التى تميل كثيراً الى الشر ، وعدونا الذى «يجول مثل أسد زائر يلتمس من يبتلعه

هو »(١ بط ٥ : ٨) • وضد خلاصنا أيضاً الخطية التى « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلاها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) •

ونحن محتاجون في كل ذلك أن « نحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) • ولذلك يقول الكتاب « انظروا الى نهاية سيرتهم ••• » (عب ١٣ : ٧) •

٤ ـ الذى بدأ فيكم عملا ، فهو يكمل :

ان الذين ينادون بالثقة وضـمان الملكوت ، يعتمـدون على قول القديس بولس الى أهل فيلبى «واثقاً بهذا عينه ، أن الذى ابتدأ فيكم عملا صالحاً ،يكمل الى يوم يسوع المسيح » (في ١ : ٦) •

نعيد ما قلناه سـابقا ان الله قادر أن يكمل فينا • ولكن ماذا عن موقفنا نحن ؟! ان الغلاطيين الأغبياء كان الله قد بدأ فيهم عملا صالحا، ومع ذلك فان بولس الرسول يقول لهم : « أهكذا أنتم أغبياء ، أبعدما ابتدأتم بالروح ، تكملون الآن بالجسد »(غل ٣ : ٣) • انهم هنا هم الذين سيكملون بالجسد ولا يتركون له فرصة أن يكمل فيهم عملا صالحاً•

أما من جهة أهل فيلبى ، فمع ثقة بولس الرسول ، نراه يصلى من أجلهم أن تزداد محبتهم ، ويزدادوا في كل فهم، لكي يكونوا « مخلصين وبلا عثرة الى يوم المسيح مملوئين من ثمر البر » (في ١ : ٩ـ١١) •
فمع أن المسيح قادر أن يكمل ، الا أن عليهم هم عملا ، أن يكونوا بلا عثرة حتى النهاية، كما أوصاهم قائلا «عيشوا كما يحق لانجيل المسيح» (في ١ : ٢٧) •

وقال لهم انه « قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله • اذ لكم الجهاد عينه الذى رأيتموه في والآن تسمعون في » (في ١ : ٢٩، ٣٠) •

فما معنى هذا كله ؟ وما دام الله سيكمل ما بدأه فيهم ، فما لزوم كل تلك النصـائح : أن يزدادوا في المحبة والفهم ، وأن يكونوا بلا عثرة ، مملوئين من ثمر البر ، وأن يعيشوا كما يحق لانجيل المسيح ، وأن يتألموا لأجله ، ويكون لهم نفس جهاد القديس بولس ؟!•

ذلك لأنه كما أن على المسيح جانباً في خلاصهم ، كذلك هم أيضاً عليهم جانب يجب أن يتمموه · لذلك قال لهم « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٢ : ١٢) · ان المسيح سوف لا يكمل العمل وحده ، وانما سيكمله بهم وفيهم ومعهم · **ان الله لا يأخذ الناس عنوة ويلقيهم في الملكوت ، وانما لا بد أن يعملوا معه ·**

لذلك نجد أن الرسالة الى فيلبى هى أكثر رسالة يقول فيها بولس الرسول انه يسعى لكى يدرك (في ٣ : ١٢، ١٤) ·

وقد شرح لهم بولس في نفس الرسالة مثالا من أولئك الذين بدأوا ولم يكملوا حسناً ، فكانت نهايتهم الهلاك · وأصبح الرسول يذكرهم باكياً · وقد طلب منهم بولس الرسول أن يتمثلوا به في سعيه وجهاده ولا يتمثلوا بأولئك الهالكين (في ٣ : ١٧) ·

كلمة ختامية في موضوع الثقة :

ما أجمل قول سليمان الحكيم في هذا المجال « الحكيم يخشى ويحيد عن الشر ، والجاهل يتصلف ويثق » (أم ١٤:١٦) · لذلك فان معلمنا بولس الرسول ينصح قائلا « لا تستكبر بل خف » (رو ١١ : ٢٠) · وقد نصح أهل فيلبى قائلا : « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٣ : ١٢) · ويضم بطرس الرسول صوته الى هذه النصيحة قائلا « ان كنتم تدعون أباً الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (١بط ١ : ١٧) ·

ما دامت هناك ثقة ، وهناك يقين ، وهناك ضمان للملكوت ، فما معنى الخوف اذن والرعدة ؟! لماذا لا يعتمد الانسان على وعود الله ويطمئن ؟ نعم اننا نطمئن من جهة وعود الله ، ولكننا لا نطمئن من جهة أنفسنا ·

ولذلك مزج الرسول الحديث عن المواعيد الالهية بالحديث عن المخافة ، فقال « فاذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء ، لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة في خوف الله » (٢كو٧:١) ·

الفصل الخامس

هل يمكن أن يهلك المؤمن ؟

يمكن أن يسقط المؤمن :

لعل من أشهر الأمثلة على ذلك بعض ملائكة الكنائس السبع التي في آسيا ، هؤلاء ولا شك كانوا مؤمنين • وقصص سقوطهم سنشرحها في الصفحات المقبلة ان شاء الله •

وما أسهل أن نورد العديد من الأمثلة عن الأنبيـــــاء والقديسين الذين سقطوا • **على أننــــا سوف لا نطيل في هذه النقطة لأن غالبية** جماعات البروتستانت وخلاص النفوس والبليموث ، يوافقون على أن المؤمن يمكن أن يسقط • ولكنهم يقولون لا يمكن أن يهلك •

فلتكن هذه النقطة الأخيرة (امكانية هلاك المؤمن) هي موضـــوع بحثنا واثباتنا •

كلمة « مؤمن » وكلمة « مختار » :

ان المختارين كلهم من المؤمنين، ولكن المؤمنين ليسوا كلهم مختارين فقد يسقط بعضهم ويهلك • ومغالطة البروتستانت هى انهم ـ كلما نورد لهم قصة مؤمن هلك ـ يجادلون قائلين كلا انه لم يكن مؤمناً • لو كان مؤمناً ، ما كان قد هلك • [انظر الفرق بين عبارتي المؤمنين والمختارين ص ٣٣ ـ ٣٦] وسنحاول في هـــذا البحث أن نثبت اثباتاً قاطعاً ايمان كل مثل من الأمثلة التي نوردها لمن هلكوا •

الإثبات الأول

رو ١١ ، يو ١٥

مثال الغصن الذى يقطع :

بعد أن شبه بولس الرســول اليهود بأغصان طبيعية قد قطعت من أصل الزيتونة ودسمها ، قال « ستقول : قطعت الأغصان لأطعم أنا •

حسناً ، من أجـــل عدم الايمان قطعت ، وأنت بالايمان ثبت » (رو ١١ : ١٩،٢٠) • واضح هنا أنه يكلم مؤمناً ، قد ثبت في الزيتونة ، وطعم فيها ، وصار شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها » (رو ١١:١٧)• فماذا تراه يقول لهذا المؤمن ؟•

انه يقول لهذا المؤمن « لا تستكبر بل خف • لأنه ان كان الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فلعله لا يشفق عليك أيضاً • فهوذا لطف الله وصرامته • أما الصرامة فعلى الذين سقطوا • وأما اللطف فلك، ان ثبت في اللطف • والا فأنت أيضاً ستقطع » (رو ١١ : ٢٠،٢٢)•

والعبارة الأخـيرة « أنت أيضاً ستقطع » ، هى انذار لهذا المؤمن بامكانية هلاكه ، ان لم يثبت في لطف الله •

● يشبه هذا المثال ما قاله السيد المسيح في تشبيه نفسه بالكرمة ، وتشبيهنا نحن بالأغصان • فالأغصـــان التى في الكرمة تدل على المؤمنين ولا شك • لأن الغصن هو عضــــو من أعضــــاء الكرمة ، تسرى فيه عصارتها • فهل يمكن أن يهلك ؟•

يقول السيد الرب « كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه ••• ان كان أحد لا يثبت في، يطرح خارجاً كالغصن، فيجف، ويجمعونه ويطرحونه في النار ، فيحترق » (يو ١٥ : ٢،٦) • وهذا معناه أن مثل هذا المؤمن غير المثمر سيهلك لا محالة •

الاثبات الثانى

(عب ٣ و عب ٤) •

مثال الشعب العاصى في البرية :

يتحدث مار بولس الرســـول في هـذين الاصحاحين الى « الاخوة القديســـــين ، شركاء الدعوة السمائية » (عب ٣ : ١ • فهل هؤلاء القديسون كانوا من المؤمنين،أم لم يكونوا ؟ طبيعى أنهم كانوا مؤمنين ولا شك • هؤلاء يحذرهم الرســول من الارتداد عن الله الحى » (عب ٣ : ١٢) • وطبعاً التحذير من الارتداد انما يوجه الى المؤمنين، وليس الى غير المؤمنين •

هؤلاء الاخوة القديسون ، المؤمنون ، شركاء الدعوة السمائية ، يقول لهم الرسول « لذلك كما يقول الروح القدس : **اليوم ان سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم ، كما في الاسخاط** يوم التجربة في القفر » (عب ٣ : ٧، ٨) • فما هو يوم الاسخاط هذا ؟ وما الذى حدث فيه ؟ وعلى أى شيء يدل في قضيتنا هذه ؟•

ان الذين أسخطوا الرب ، هم الشعب العاصى في البرية ، الذين مقتهم الرب أربعين سنة وقال «أقسمت في غضبى : لن يدخلوا راحتى» (عب ٣ : ١١) • وهكذا هلكوا في البرية ، وسقطت جثثهم في القفر •

هؤلاء الذين سقطوا ، الذين أقسم الله أنهم لن يدخلوا راحته ، الذين أسخطوا الرب في القفر ، هل كانوا قد نالوا الخلاص قبلا أم لم ينالوه؟يجيب بولس الرسول فيقول «فمن هم الذين اذ سمعوا أسخطوا؟ أليس جميع الذين خرجوا من مصر بواسطة موسى » (عب ٣ : ١٦) •

انهم نالوا الخلاص الأول : أنقذهم الرب من العبودية ، وشق لهم البحر الأحمر ، واجتازوا في وسط الماء ــ الذى يرمز الى المعمودية ــ وعبروا البحر • ولكنهم مع كل ذلك هلكوا في القفر ، وفقدوا الخلاص الذى نالوه ، واقسم الرب أنهم لن يدخلوا راحته •

أليس هؤلاء يقدمون مثالا واضحاً عن المؤمنين الذين يهلكون ؟ ان هؤلاء العصاة يمثلون بلا شك الذين يرتدون بعد الايمان فيهلكون • وقد هلكوا بسبب العصيان • وأرض الموعد دخلوها أناس آخرون • « والذين بشروا أولا ، لم يدخلوا بسبب العصيان » (عب ٤ : ٦) •

هذا العصيان الذى يمنع من الدخول الى راحة الرب ، يحذرنا منه الرسول قائلا « فلنجتهد ان ندخل تلك الراحة لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها » (عب ٤ : ١١) •

بل انه يقول أكثر من هذا « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) •

ان قصة هذا الشعب العاصى الذى فقد خلاصه الأول وهلك انما اعطيت لنا مثالا لنتعظ،وندرك أنه من الممكن أن يفقد المؤمن خلاصه• « وهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالا ، وكتبت لانذارنا ، نحن الذين

انتهت الينا أواخر الدهور ۰ اذن من يظن أنه قائم فليتنظر لئلا يسقط» (١ كو ١٠ : ١١ : ١٢) ۰

● ان قصة هلاك هذا الشعب العاصى ، تذكرنا بامرأة لوط **التي خلصت من سدوم وهلكت خارجا** ۰ لذلك يقول الكتاب « اذكروا امرأة لوط » (لو ١٧ : ٣٢) ۰

الإثبات الثالث

(عب ١٠ : ١٩ ـ ٣٢) ۰

ان أخطانا باختيارنا ، بعد معرفة الحق :

يتكلم بولس الرسول مع نفس « الاخوة القديسين شركاء الدعوة السمائية » (عب ٣ : ١) ، الذين بعدما أنيروا صبروا على مجاهدة آلام كثيرة ، والذين رثوا لقيود الرسول ، وقبلوا سلب أموالهم بفرح، عالمين في أنفسهم أن لهم مالا أفضل في السموات وباقيا (عب١٠:٣٢،٣٤ فماذا يقول لهؤلاء الذين يبدأ حديثه معهم قائلا « اذ لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » ؟۰

انه يقول لهم « فانه ان أخطانا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقي بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تاكل المضادين ۰۰۰ فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب وأيضاً الرب يدين شعبه مخيف هو الوقوع في يدى الله الحى » (عب ١٠ : ٢٦ ـ ٣١) ۰

هذا الانذار بالهلاك لمن يخطيء من هؤلاء الاخوة المؤمنين القديسين، يعطينا فكرة عن امكانية هلاك المؤمن ۰ لأن بولس الرسول يقول فيه « فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدس به دنساً، وازدرى بروح النعمة » (عب١٠:٢٩)۰ نلاحظ هنا أن عبارة « دم العهد الذى قدس به » ، تدل على أن هذا الهالك كان مؤمناً ، قد تقدس قبلا بدم العهد !۰۰

الإثبات الرابع

أمثلة من هلاك المرتدين :

هؤلاء المرتدين كانوا من قبل مؤمنين ، ثم ارتدوا وهلكوا . والأمثلة في الكتاب المقدس كثيرة توضح هلاكهم .

● يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيئوس « ولكن الروح يقول صريحاً **انه في الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين** ، في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم ، مانعين عن الزواج، وآمرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق » (١تى ٤ : ١ـ٣) .

هؤلاء الذين تبعوا أرواحاً مضلة وتعليم شياطين،قد هلكوا بلا شك. ومع ذلك فان عبارة « يرتد قوم عن الايمان » تدل على أنهم كانوا مؤمنين من قبل . وهذا مثل واضح عن امكانية هلاك المؤمن ، اذا ارتد ، ينطوى تحته جميع الهراطقة والمبتدعين .

● **ومن أمثلة المرتدين ما ورد في مثل الزارع** ، اذ قال الرب « والذين على الصخر ، هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح . وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفي وقت التجربة يرتدون» (لو ٨ : ١٣) . **لا يمكن أن نصدق أنه يكون خلاص لأولئك الذين على الصخر ، الذين يرتدون وقت التجربة ومع ذلك فقد سماهم المسيح نفسه مؤمنين ، ولو الى حين** .

● ومن أخطر أنواع الارتداد ، ذلك الارتداد العام الذى سيحدث قبل مجىء المسيح ثانية . وفي ذلك يقول الرسول عن مجىء المسيح الثانى « لا يخدعنكم أحد على طريقة ما . **لأنه لا يأتى (أى المسيح) ان لم يات الارتداد أولا** ، ويستعلن انسان الخطيئة ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل من يدعى الهاً » (٢تس ٢ : ٣) . ولا شك أنه في هذا الارتداد العام سيهلك كثير من المؤمنين الذين يرتدون عن الايمان.

ومن أمثلة الهراطقة المبتدعين الفاسدين ، الذين يرتدون ويهلكون، ما قال عنهم بطرس الرسول لأنه اذا كانوا بعدما نجوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب المخلص يسوع المسيح ، يرتبكون أيضاً فيها

فينفلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل • **لانه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعـــدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم » (٢ بط ٢ : ٢٠،٢١) •**

الإثبات الخامس

(عب ٦ : ٤ ـ ٨) •

الذين استنيروا وسقطوا :

يقول بولس الرســـول « لأن الذين استنيروا مرة ، وذاقوا الموهبة السمائية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي وســـــقطوا ، لا يمكن تجديدهم أيضاً (ثانية) للتوبة • • • » •

ان الصفات الأولى تدل على ايمان هؤلاء والعبارة الأخيرة تدل على هــلاكهم • وهذا اثبات واضح على امكانية هــلاك المؤمن • على أن البروتستانت ـ للأسف الشديد ـ يحاولون أن يزعموا أن هؤلاء لم يكونوا مؤمنين!!!على الرغم من استنارتهم وشركتهم مع الروح القدس ومذاقهم المواهب والقوات وكلمة الله !!•

ولسنا نريد أن نجادلهم كثيراً ، وانما يكفي أن نقول ان نص الآية يدل على ايمانهم • فعبارة «لا يمكن تجديدهم ثانية» دليل واضح على أنه قد سبق تجديدهم من قبل ، أي أنهم كانوا مؤمنين •

وهلاكهم واضح في تشبيه الرسول لهم بأرض « مرفوضة ، وقريبة من اللعنة التي نهايتها الحريق » (ع٨) •

الإثبات السادس

يقين يحتاج الى ثبات ، وله شروط :

● **قال القديس بطرس الرســـول « لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الاخوة أن تجعلوا دعوتكم واختيـــاركم ثابتين بالأعمال الصـــالحة »** (٢ بط ١ : ١٠) •

اذن فاختيار الله لنا ، ودعوته لنا ، كل ذلك يحتاج منا الى اجتهاد بالأكثر ، لكى يكون هذا الاختبار ثابتاً ··· والا ، فان **الاختيار لا يثبت** !···

● يشبه هذا أيضاً قول القديس بولس « وبيته نحن ، ان تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة الى النهاية » (عب ٣ : ٦) ·

كان هذه الثقة يمكن أن تثبت أو لا تثبت، وتحتاج الى أن تتمسك بها حتى النهاية ·

ويعود الرسول فيقول أيضاً « لأننا قد صرنا شركاء المسيح **ان تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة الى النهاية** » (عب ٣ : ١٤) · هنا شرط واجب علينا ، أن نتمسك ، حتى النهاية ··· ويتابع الرسول كلامه فيحذرنا من أن نقسى قلوبنا والا يحدث لنا كما حدث للشعب العاصى الذى هلك في القفر ·

● هذا الشرط الواجب علينا ، يكرره الرسول مرة أخرى في قوله «···ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى أمامه، **ان ثبتم على الايمان متأسسين وراسخين وغير متنقلين عن رجاء الانجيل**»(كو١:٢٢،٢٣)

● انه خلاص من الرب ، لنا رجاء فيه، ولكن الرسول ينذرنا قائلا « كيف ننجو نحن ان أهملنا خلاصاً هذا مقداره » (عب ٢ : ٣) · **اذن يمكن أن نهمل الخلاص ، فلا ننجو ···**

الإثبات السابع

(رؤ ١٣ : ٧) ·

ما أخطر ما قيل في سفر الرؤيا عن الوحش انه « **أعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم** » !··· وعبارة « قديسين » تعنى ولا شك أنهم مؤمنون ·

فان كان ممكناً أن ينغلب القديسون ، فلنحذر نحن ، ولنداوم على الطلبة باستمرار لكى يرحمنا الرب ، فلا نهلك ··

الإثبات الثامن

هلاك ديماس مساعد القديس بولس :

كان ديماس أحد مساعدى بولس الرســـول ، ذكره في رسالته الى كولوسى « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس » (كو ٤ : ١٤) • وفي رسالته الى فليمون قال « يسلم عليكم مرقس وارسترخس وديماس ولوقا ، العاملون معى » (فل ٢٤) •

يذكره هنا ضمن ثلاثة من أكبر الكارزين العاملين معه منهما اثنان من الانجيليين الأربعة•واسم ديماس يسبق اسم القديس لوقا الانجيلي• فهل مع كل ذلك لم يكن مؤمنا •

ومع كل ذلك ، فان ديماس المؤمن ، الكارز العظيم ، قـد هلك • وقال عنه مار بولس«ديماس قد تركنى اذ آحب العالم الحاضر »(٢تى ٤ : ١٠) والبروتستانت يقولون في كتبهم أنه ــ بعد تركه القديس بولس ــ صار كاهناً وثنياً !!•

باقى الاثباتات

حرصاً على عدم التكرار ، انظر ما يتعلق بهذا الموضوع من الأدلة التى وردت في باب « الدينونة حسب الأعمال » •••

★ ★ ★

اعتراضات ، والرد عليها

الاعتراض الأول

+ (يو ١٠ : ٢٧ – ٢٩) .

لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي

أول اعتراض لهم على امكانية هلاك المؤمن هو قول الرب : « خرافي تسمع صوتي ، وأنا أعرفها ، فتتبعني . وأنا أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ، ولا يخطفها أحد من يدي . أبي الذي أعطاني اياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر أحد أن يخطفها من يد أبي » .

فما معنى هذا النص ؟ ليتنا نتأمله جيداً :

اولا : هؤلاء الذين لا يهلكون أول صفة ذكرها عنهم الرب أنهم خراف . والسيد المسيح يشبه الصالحين بالخراف ، كما يشبه الأشرار بالجداء . كما ذكر في يوم الدينونة أنه « يجمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه : « تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم » (مت ٢٥ : ٣٢–٣٤) .

فما دامت هذه خرافاً ، اذن هي عناصر صالحة . لأنها لو كانت شريرة لسماها جداء .

ثانيا : لقد وصف هذه الخراف بأوصاف البر منها :

أ – **يقول انها تسمع صوتي ، وتتبعني** . وهذا معناه أنها تنفذ الوصايا وتعمل أعمالا صالحة . وكلنا نوافق على أن الذي يسمع صوت الرب ويتبعه لا يمكن أن يهلك .

ب – وفي نفس الاصحاح وصف هذه الخراف بأنها « **لا تتبع الغريب بل تهرب منه ، لأنها لا تعرف صوت الغرباء** » (يو ١٠ : ٥) . وانها

لذلك لم تسمع صوت السراق واللصوص الذين أتوا قبله (يو ١٠:٨). وهذا كله يعني أن هذه الخراف الصالحة لا تنقاد وراء الشـــياطين، ولا وراء الأشرار.

وكل هذا يدل على الصلاح من ناحيتيه الايجابية والسلبية: تتبع الرب ولا تتبع الغريب. تعرف صــوت الرب، وتميزه، وتسمعه، وتتبعه. ولا تعرف صــوت الغرباء، ولا تتبعهم، بل تهرب منهم. لسنا نرى للصلاح أدلة أكثر من هذه ومع ذلك نذكر دليلا آخر.

ثالثا: « يقول خرافي تسمع صـــوتي **وأنا أعرفها** ». **وهذه المعرفة متبادلة**، لذلك يقول أيضا في نفس الاصحاح « **وأعرف خاصتي وخاصـــتي تعرفني**، كما أن الآب يعـرفني وأنا أعرف الآب » (يو ١٠ : ١٤) أية معرفة أقوى من هذه ....!!. ويفصـــل الرب هـــذه المعرفة بأنه « **يدعو خرافه الخاصـــة بأسماء** » (يو ١٠ : ٣).

هذه المعرفة تميز الصـالحين عن الأشرار الذين يقول لهم الرب: « اني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الاثم »(مت ٧ : ٢٣). اذن فقد قال الرب عن الأشرار انه لا يعرفهم ... يؤكد هذا أيضـــا قول الرب للعـــذارى الجاهلات « الحق أقول لكن اني ما أعـــرفكن » (مت ٢٥ : ١٢).

فما دام اذن يعرف هذه الخراف التي سوف لا تخطف من يده ولا من يد الآب، اذن لا بد أن هؤلاء أنقياء القلب صالحون، لأنهم لو كانوا أشراراً لقال عنهم: اني لا أعرفكم.

نلخص اذن صفات أولئك المؤمنين الذين سوف لا يخطفون من يد الآب:

انهم من الخراف لا من الجداء. أي أنهم من الصالحين الأبرار. كما أنهم يطيعون وصايا الله، فيســـمعون صوته ويتبعونه. كذلك هم يبعدون عن الشر والأشرار، اذ لا يسمعون لصوت الغريب ولا يتبعونه، بل يهربون منه. نحن ولا شك نوافق أن مثل هذا النوع لا يهلك.

رابعاً: ماذا يفهم من عبارة لا يقدر أحد « أن يخطف من يد أبي ». معناه أن القوات الخارجية لا تقدر أن تخطف من يد الآب ولكن

هـــذا لا يمنع من أن المؤمن وهو في يد الآب ـ كامل الحرية ـ يمكن بارادته أن يسقط ·

ان الله لا يسمح لقوة خارجة أن تنتصر عليك وأنت في يده · ولكن ارادتك الداخلية يمكن أن تهلكك ان أردت · لو قلت له أعن يا رب ضعفى فانه يطرد عنك جميع القوى المعارضة · أما ان أردت بنفسك أن تتركه فانه لا يرغمك على البقاء معه ·

ما رأيكم في بعض خراف كانت في يد المسيح ، وضلت ، وسقطت ، واحتاجت الى التوبة وقيل عن البعض ان له اسما انه حى وهو ميت؟! من أمثلة هؤلاء بعض الملائكة السبعة الذين ورد ذكرهم في سفر الرؤيا

قال يوحنا الرائى أنه أبصر السيد المسيح في وسط المنائر السبع التى هى السبع الكنائس·وكان «معه في يده اليمنى سبعة كواكب ··· والسبعة الكواكب هى ملائكة السبع الكنائس » (رؤ ١ : ١٦، ٢٠)· وأول رسالة بدأها الرب بقوله « هذا يقوله الممسك السبع الكواكب في يمينه » · **اذن فهم ليســوا في يده فقط ، وانما في يمينه · وكلمة يمين ترمز الى القوة** « **يمين الرب صنعت قوة · يمين الرب رفعتنى** » (مز ١١٧ : ١٥، ١٦) ·

هؤلاء الذين هم في يمين الرب ، هؤلاء الجبـابرة رعاة الكنائس ، **ماذا قال لهم الرب ؟ قال لهم كلاماً مخيفاً** ··

قال لملاك كنيســـة أفسس « ··· **فاذكر من أين سقطت وتب** ، واعمل الأعمال الأولى · والا فانى آتيك عن قريب، وأزحزح منارتك من مكانها » (رؤ ٢ : ٥) يا للهول !·

وقال لملاك كنيسة ساردس « **أنا عارف أعمالك ، أن لك اسماً أنك حى وأنت ميت** » (رؤ ٣ : ١) · تصوروا أن هـــذا الملاك العظيم الممسك به الرب في يمينه كان ميتاً ، واحتاج أن يقول له الرب «فاذكر كيف أخذت وسمعت ، **واحفظ وتب** · فانى ان لم تسهر أقدم عليك كلص · ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٥) · **فليرحمنا الله يا اخوتى كعظيم رحمته · اننا لسنا أقوى من هؤلاء الملائكة السبعة** ·

اسمعوا أيضـا الكلام المخيف الذى قاله الرب لملاك كنيسة لاودكيا « هكذا لأنك فاتر ، ولست بارداً ولا حاراً ، أنا مزمع أن أتقيــأك

من فمي » (رؤ ٣ : ١٦) · انه تهديد بالهلاك · ويتابع الرب كلامه فيقول له « لأنك تقول أني غني ، وقد استغنيت ولا حاجة لي الى شيء· ولست تعلم انك انت الشــقي والبائس وفقير وأعمى وعريان » · وهكذا أشار الرب عليه أن يشترى ثياباً بيضاء حتى لا يظهر « خزى عريته » · وقال له أخيراً « كن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٧ــ١٩) ·

فلا تعتمد ايها الأخ على انك في يد الله وتترك محبتك الأولى · فما أسهل ان تسقط من يمين الله ، ان أردت ذلك · لا يخطفك أحد من يده ، وانما انت بارادتك قد تترك يد الله ·

الاعتراض الثاني

+ (أف ١ : ١٣/١٤) ·

ختمتم بروح الموعد القدوس

انها آية أخرى يعتمد عليها المعترضون· وهي قول بولس الرسول:

« اذ آمنتم ختمتم بروح الموعــد القدوس ، الذى هو عــربون ميراثنــا ··· » · فاعتبروا أن ختم الروح القدس هو عربون ميراث أبدى لا ينزع من الانسان ·

والرد بسيط ان الذين ختموا بالروح القدس ، ما تزال لهم حرية ارادة · ولذلك يقول لهم الكتاب : « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم الفداء »(أف ٤ : ٣٠) · ويقول لهم أيضاً « لا تطفئوا الروح » (١ تس ٥ : ١٩) · ويقول أكثر من هذا « من جدف على الروح القدس فليس له مغفــرة الى الأبد ، بل هو مســتوجب دينونة أبدية » (مر ٣ : ٢٩) · اذن فما يزال الأمر بيد الانســان الحر في ارادته · ان شاء أحزن الروح ، وان شاء أطفأ الروح، وان شاء جدف على الروح · لذلك نحن نصــلي ونقول مع المرتل « روحك القدوس لا تنزعه مني » (مز ٥٠) ·

ان شــاول الملك الذى اختاره الرب ، ومســحه صموئيل بالدهن المقدس وحل عليه الروح القدس فتنبأ ، وتحول الى رجــل آخر ، حتى

تعجب الناس قائلين « أشاول أيضاً بين الأنبياء »(١صم ١٠:٦-١١)، هـذا قد عاد الرب فرفضه ، وفارقه روح الرب وبغته روح رديء من قبل الرب (١صم ١٦ : ١ ،١٤) . وهلك شاول مرفوضاً من الله .

ليست العبرة في أوائل الانسان اذ يختم بروح الرب ، أو يحل عليه روح الرب ، انما العبرة كيف تكون أواخره .

● مثل هذا الرد نجيب به أيضـاً على من يعترضون بقول الرب : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخـر ليمكث معكم الى الأبد » (يو ١٤ : ١٦) . **ان الروح مستعد أن يمكث معنا . ولكن اذا استمر بنا الحال في احزان الروح واطفاء الروح ، أو في التجديف أخيراً على الروح ، فمن الممكن أن ينزع منا .**

الاعتراض الثالث

+ (لو ١٠ : ٢٠) ، (في ٤ : ٣) ، (رؤ ٢١ : ٢٧) .

أسماؤكم قد كتبت في السموات

يعترض البعض على امكانية هلاك المؤمن ، بقول الرب لتلاميـذه السبعين « لكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضـع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت في السموات » (لو ١٠ : ٢٠) . وبقول بولس الرسـول في رسـالته الى فيلبى « وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم في سفر الحياة »(في ٤ : ٣) . أو بقول الوحى الالهى في سفر الرؤيا « ولن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً، الا المكتوبين في سفر حياة الخروف » (رؤ ٢١ : ٢٧) .

ما أسهل أن نقول ان هذه النصوص المقدسة، وخاصة النص الأخير، انما يقصد بها المختارون . ولكن أوضح من هذا أن نقول في صراحة تامة : انه من الممكن أن يكتب اسم شخص في سـفر الحياة ، ثم يمحى اسمه بعد ذلك .

وهذا واضح من كلام الرب لموسى النبى في سفر الخروج حينما قال له موسى « والآن ان غفـرت خطيئتهم ، والا فامحنى من كتابك الذى

كتبت » . « فقال الرب لموسى : من أخطأ الى أمحوه من كتابي » (خر ٣٢ : ٣٢ ، ٣٣) .

ويقول الرب في سفر الرؤيا « من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة » (رؤ ٣ : ٥) . **اذن فهناك امكانية لمحو اسم انسان من سفر الحياة : الذى يغلب لا يمحو الرب اسمه ، والذى ينغلب يمكن أن يمحو الرب اسمه من سفر الحياة . وكما قال « من أخطأ أمحوه من كتابي » .**

وقد قال أيضاً في آخر سفر الرؤيا « وان كان أحد يحذف من أقوال هذه النبوة ، **يحذف الله نصيبه من سفر الحياة** ، ومن المدينة المقدسة، ومن المكتوب في هذا الكتاب » (رؤ ٢٢ : ١٩) .

الاعتراض الرابع

+ (غلا ٤ : ٧) .

نحن أولاد الله ، وورثة مع المسيح

يعترضون أيضاً بقول بولس الرسول « اذن لست بعد عبداً ، بل ابناً فان كنت ابناً ، فوارث لله بالمسيح » .

ان هذا الاعتراض يدعونا الى أن نبحث معاً ما هو المعنى الروحى لكلمة ابن : يقول يوحنا الرسول في تعريف كلمة ابن « ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا ان كل من يصنع البر مولود منه » (١يو٢:٢٩) . **فان قلت أيها الأخ انك ابن الله ، وبالتالى وارث لله بالمسيح ، فينبغي أن تبرهن على بنوتك ببرك . فان كنت لا تصنع البر فلست مولوداً منه .**

يقول يوحنا أيضاً « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطيئة ، لأن زرعه يثبت فيه . ولا يستطيع أن يخطىء ، لأنه مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون، وأولاد ابليس (ظاهرون) . كل من لا يفعل البر فليس من الله » (ايو ٣ : ٩، ١٠) **ويكرر معلمنا يوحنا الحبيب** هذا المعنى في الاصحاح الخامس من رسالته فيقول «**نعلم أن كل من ولد من الله لا يخطىء ، بل المولود من الله** يحفظ نفسه والشرير لا يمسه » (١ يو ٥ : ١٨) .

هل أنت ابن بهذا المعنى الذى يشرحه يوحنا الرسول ؟ ان كنت كذلك فطوباك ، لا شك انك وارث لله بالمسيح ٠ أما ان كنت ـ اذا ناقشك أحد في آية تتعلق بموضوع الخلاص ـ تتشاجر وتشتم وترفع صوتك وتقيم ضجة ، ثم بعد ذلك تقول أنا ابن لله !! **فاعلم أن أولاد الله لا يشتمون ،** لأن الشتامين لا يرثون ملكوت الله (١كو ٦ : ١٠) ٠

لا تفتخر باطلا أيها الأخ كما افتخر اليهود قديماً ببنوتهم لابراهيم، فأخجلهم السيد المسيح بقوله « لو كنتم أولاد ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال ابراهيم »(يو ٨ : ٣٩) ٠ فلو كنت أنت ابناً لله ، ووارثاً مع المسيح، «ينبغى أنه كما سلك ذاك هكذا تسلك أنت أيضاً»(١يو٢:٦) ٠

ان الولادة من الله ليست مجرد لقب زائف نفتخر به ٠ وانما لها علامات تميزها ٠ يقول الرسول «لأن كل من ولد من الله يغلب العالم» (١ يو ٥ : ٤) ٠ ويقول أيضاً « وكل من يحب ، فقد ولد من الله ويعرف الله » (١ يو ٤ : ٧) ٠ **فهل ينطبق عليك هذان الشرطان ؟٠ وهل أنت ثابت في المحبة ؟ وهل أنت تغلب العالم ؟٠**

علامة جوهرية أخرى للولادة من الله ، تظهر في قول بولس الرسول الى أهل رومية « لأ نه ان عشتم حسب الجسد فستموتون،ولكن ان كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون ٠ **لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أبناء الله »** (رو ٨ : ١٣،١٤) ٠ هنا شرط للبنوة لله ، يحددها الرسول في الذين ينقادون بروح الله ٠ من هو ابن الله ؟ هو الذى ينقاد بروح الله ٠ **فهل ينطبق عليك هذا الشرط أيها** الوارث مع المسيح والضامن للملكوت ؟ اسأل نفسك ٠٠٠

شرط أساسي آخر للولادة من الله ، ان تكون مولوداً من فوق ، مولوداً من الماء والروح٠لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قال لنيقوديموس «الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) ٠ **فهل أنت أيضاً قد خلصت** « بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) ؟ **وهل قدسك السيد** المسيح مطهراً اياك بغسل الماء بالكلمة ؟ (أف ٥ : ٢٦) ٠

لا تقل بغير تمعن (أنا ابن لله، فوارث للمسيح، فضامن للملكوت) وانما اختبر نفسك هل أنت قد ولدت من الماء والروح ؟ هل أنت

تحفظ نفسك والشرير لا يمسك ؟ هل أنت تغلب العالم ؟ هل أنت محب وصانع للبر ؟ هل أنت لا تستطيع أن تخطىء ؟ هل أنت تنقاد بروح الله ؟ ان كنت كذلك فانت ابن حقا لله ، وأعمالك تدل عليك « ومن ثمارهم تعرفونهم » .

أما قول بولس «لست عبداً بل ابناً» فيجب أن نضع الى جواره قول السيد المسيح « ان كل من يعمل الخطيئة هو عبد للخطيئة ، والعبد لا يبقى في البيت الى الأبد . أما الابن فيبقى الى الأبد . فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً » (يو ٨ : ٣٤ _ ٣٦) .

فالبنوة لله اذن من علاماتها التحرر من الخطيئة وعدم العبودية لها . فان كنت ما تزال تفعل الخطيئة فانت عبد لها وأنت اذن خارج عن قول بولس الرسول « لست عبداً بل ابناً » .

ان السيد المسيح يحسم هذا الأمر فيقول « ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى في السموات » (مت ٧ : ٢١) . « لأن من يصنع مشيئة أبى الذى في السموات هو أخى وأختى وأمى » (مت ١٢ : ٥٠) هذا هو حقاً الوريث مع المسيح .

● نفس الكلام الذى قلناه سابقاً ينطبق أيضا على آية بنفس المعنى يستخدمها المعترضون أحيانا وهى :

« **فان كنا أولاداً ، فاننا ورثة أيضاً**، ورثة الله ووارثون مع المسيح ان كنا نتألم معه ، لكى نتمجد أيضاً معه » (رو ٨ : ١٧) .

الاعتراض الخامس

+ (يو ٦ : ٣٧) .

من يُقبِل إليَّ ، لا أُخرِجه خارجًا

حقاً ان كل من يقبل الى المسيح لا يخرجه المسيح خارجاً . ولكن ماذا نقول عن الذى يخرج بارادته من تلقاء نفسه ؟! ان المسيح هو الباب ان دخل أحد به يخلص ويجد مرعى (يو ١٠ : ٩) .

ان كل الذين خرجوا من الحظيرة المقدسة ، هم خرجوا بذواتهم ، بأعمالهم ، بطياشتهم ، بضلالهم . هم أرادوا لأنفسهم الهلاك . عن أمثال هؤلاء يقول يوحنا الرسول « منا خرجوا - لكنهم لم يكونوا منا - لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا » (١ يو ٢ : ١٩) . هم الذين خرجوا .

ومن امثلة هؤلاء أولئك الذين لم يحتملوا كلام السيد المسيح عندما تحدث عن التناول من جسده ودمه . وفي ذلك يقول الكتاب « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للاثنى عشر ألعلكم أنتم أيضاً تريدون أن تمضوا » (يو ٦ : ٦٦ ، ٦٧) . فهؤلاء لم يخرجهم الرب خارجاً ، انما هم الذين تركوه ، بعكس الاثنى عشر الذين ثبتوا معه .

حتى يهوذا الاسخريوطي أيضاً ، لم يطرده الرب ، ولم يخرجه خارجاً . وانما هو الذي ترك مجمع التلاميذ ، وترك عشاء الرب وخرج يفعل ما قد تآمر عليه من قبل .

الاعتراض السادس

+ (١ يو ٥ : ١١ ، ١٢) .

من له الابن ، فله الحياة

يعترض البعض بقول يوحنا الرسول « وهذه هي الشهادة أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي في ابنه ، من له الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » . فيقولون ما دام شخص له الحياة ، وله حياة أبدية فكيف يهلك اذن ؟! .

مفتاح هذه الآية هو فهم المعنى المقصود من عبارة من له الابن . فماذا تعني هذه العبارة ؟ هل تعني « كل من يؤمن به » ؟ كلا طبعاً ، لأن الابن نفسه يقول « ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذي يفعل ارادة أبي الذي في السموات » (مت ٧ : ٢١) . وتابع الرب كلامه قائلا « كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم **اني لم اعرفكم قط ، اذهبوا عني يا فاعلي الاثم** » .

هؤلاء لم يكونوا مؤمنين فقط وانما كانوا صــانعي آيات أيضاً • ومع ذلك لم يكن لهم الابن « لم يعـــرفهم قط » • وذلك لأنهم كانوا فاعلي اثم •

وهكذا العذارى الجاهلات: كن مؤمنات، وقد ناديته قائلات «يا سيد يا سيد افتح لنا » (مت ٢٥ : ١١) • فأجابهن قائلا « الحق أقول لكن اني ما أعرفكن » •

هن أيضاً لم يكن لهن الابن ، على الرغم من ايمانهن • وعلى الرغم من انهن كن ينتظرنه كالحكيمات ، وقد حفظن بتوليتهن ، وأردن أن يدخلن معه الى العرس •

اذن فعبارة من له الابن، لا تعني مجرد الايمان • فماذا تعني اذن؟ ما معنى « من له الابن فله الحياة » ؟ تعني الآتي :

أولا ــ معرفة الابن :

وهذا واضح من قول ربنا يسوع المسيح نفسه للآب : « هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقي وحدك ويسـوع المسيح الذي أرسلته » (يو ١٧ : ٣) •

ولكن ما معنى أن نعرف الابن ؟ وما الدليل على أننا عرفناه ؟•

يجيب يوحنا الرسول نفسه ، في نفس رسالته قائلا : « **بهذا نعرف أننا عرفناه ، ان حفظنا وصاياه • من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه** • وأما من حفظ كلمته ، فحقاً في هذا قد تكملت محبة الله • بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو ٢ : ٣ـ٥) •

هذا هو الرد، لأنه كيف يكون لنا الابن ان كنا لا نعرفه ؟! أو كيف نعرفه ان كنا لا نحفظ وصاياه ؟! فان حفظنا وصاياه تدلل بهذا على أننا نعرفه وان عرفناه تكون لنا الحياة • اذن من يحفظ وصايا الابن، يكون له الابن ، وتكون له الحياة • وما حفظ الوصايا سوى أعمال ، تبرهن على صدق هذا الحفظ •

ثانيا ــ الثبات في الابن :

ان الذي له الابن ، هو الذي يثبت في الابن ، والابن نفسه قد قال « اثبتوا في وأنا فيكم ••• أنا الكرمة وأنتم الأغصان ••• ان كان

أحد لا يثبت في ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق » (يو ١٥ : ٤-٦) .

اذن فالثبات فيه لازم للحياة ، كما أن الغصن لا يحيا الا اذا كان ثابتاً في الكرمة ، والذى لا يثبت فيها يجف وتكون نهايته الحريق . اذن من يثبت في الابن فله الحياة .

فكيف اذن نثبت فيه ؟

يتابع الابن كلامه فيقول « اثبتوا في محبتي . ان حفظتم وصاياى تثبتون في محبتي ، كما انى أنا حفظت وصايا أبى وأثبت في محبته » (يو ١٥ : ٩، ١٠) .

الأمر اذن من هذه الناحية أيضاً يتعلق بحفظ الوصايا ، أى بالأعمال الصالحة . يؤكد هذا يوحنا الحبيب أيضاً في نفس رسالته « من قال انه ثابت فيه ينبغى أنه كما سلك ذاك ، هكذا يسلك هو أيضاً » (١يو ٢ : ٦) .

وماذا تعنى عبارة من له الابن ؟ تعنى كذلك :

ثالثاً – الشركة مع الابن :

الذى له الابن ، هو الذى له شركة معه . وفي ذلك يقول يوحنا الرسول نفسه « وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » (١يو ١ : ٢) . ويتحدث بولس الرسول كثيراً عن هذه الشركة فيقول « متنا معه ، دفنا معه ، قمنا معه ، نتمجد معه » (رو ٦) ، ويقول أيضاً « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (في ٣) . ويقول « مع المسيح صلبت » (غل ٢) ...الخ .

ولكن كيف تكون لنا شركة معه ؟ هنا يجيب القديس يوحنا في نفس رسالته « ان قلنا أن لنا شركة معه ، وسلكنا في الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق ، ولكن ان سلكنا في النور كما هو في النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة » (١ يو ١ : ٦ ، ٧) .

الأمر اذن كسابقه يتعلق بالسلوك أى بالأعمال .

رابعاً ــ محبة الابن :

لا شك أن الذى له الابن ، هو الذى يرتبط بالابن برابطة الحب • فكيف نحبه اذن ؟

يجيب السيد المســيح نفسه على هذا السؤال بقوله « الذى عنده وصــاياى ويحفظها ، فهو الذى يحبنى • والذى يحبنى يحبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » (يو ١٤ : ٢١) • والقديس يوحنا يؤكد هذا أيضاً في نفس رســالته فيقول « فان هذه هى محبة الله أن تحفظ وصاياه » (١يو ٥ : ٣) •

الأمر من هذه الناحية أيضاً يتعلق بحفظ الوصايا أى بالأعمال •

اذن فعبارة من له الابن ــ سواء كان معناها : من يعرف الابن ، أو من يثبت في الابن ، أو من له شركة مع الابن ، أو من يحب الابن ــ فهى تستلزم حفظ الوصايا ، لكى تكون للمؤمن الحياة الأبدية •

اذن فالحياة الأبدية تستلزم سلوكاً دائماً بالبر • ان حاد عنه الانسان يفقد هذه الحياة • لأنه « ان قلنا أن لنا شركة معه، وسلكنا في الظلمة، نضل أنفسنا » •••

ان رسالة يوحنا الأولى لها روح خاصة تتمشى في الرسالة كلها • لذلك اذا حاول البروتستانت أن يعتمدوا على آية منها،وجدوا في باقى الرسالة ما يرد عليهم •••

الاعتراض السابع

+ (خر ١٢ : ٢٣ ، ٧) •

مثال خروف الفصح

« فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين ، يعبر الــرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » •

يستغل المعترضــــون هذه الآية ويقولون ان الذين كانوا يحتمون داخل الأبواب الملطخة بالدم، كانوا يشعرون بكامل الأمان والاطمئنان مهما كانت حالتهم الشخصية ، ومهما كان تقصــــيرهم واثمهم •••

لأن خلاصهم كان يعتمد على الدم ، دم خروف الفصـــح الذى يرمز للمسيح • ولم يكن خلاصهم يعتمد اطلاقاً على أعمالهم • ويقولون انه يجب أن نكون في ملء الثقة بدم المسيح، ناظرين الى استحقاقات الدم، وليس الى أعمالنا •

ونحن لا ننكر أن الخلاص قد تم بدم المســيح وحده ، وان كفارة دم المسيح غير المحدودة كافية لبعث الاطمئنان في النفس • ولكن ثقتنا بدم المســيح ، ليس معناها أن نحيا في الخطيئة ، أو أن نقصر في أى عمل صالح،مدعين بأن خلاصنا يتوقف على الدم وليس على برنا وطهارتنا •

وفي مثال خروف الفصـــح والأبواب المرشوشة بالدم نرى ملاحظة هامة جداً توضـــح الموقف توضيحاً سليماً من ناحية الرمز • ذلك أن خروف الفصح كان يؤكل على فطير (خر ١٢ : ٨) • وكان لا بد من نزع كل خميرة في المحلة لمدة سبعة أيام •

وهكذا قال الكتاب « سبعة أيام تأكل فطيراً ، وفي اليوم السابع عيد للرب ، فطير يؤكل الســـبعة أيام ، ولا يرى عندك مختمر ، ولا يرى عندك خميرة في جميع تخومك » (خر ١٣ : ٦، ٧) •

وقد شـــدد الرب تشديداً كبيراً على عزل الخمير من البيوت ، مع توقيع عقوبة القطع على كل من يأكل مختمراً • فقال « ســـبعة أيام تأكلون فطيراً • اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم • فان كل من أكل خميراً من اليوم الأول الى اليوم السابع ، تقطع تلك النفس من اسرائيل » (خر ١٢ : ١٥) •

وعاد فشدد على هذه النقطة مرة أخرى فقال « تأكلون فطيراً ••• سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم • فان كل من أكل مختمراً ، تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل،الغريب مع مولود الأرض • لا تأكلوا شيئاً مختمراً•في جميع مساكنكم تأكلون فطيراً »(خر ١٢:١٨ـ٢٠)•

فما هي الحكمة في كل هذا ؟ والى أى شيء ترمز ؟ ان أى باحث في الكتاب المقدس يرى جيـداً أن الخمير يرمز الى الشر والخطيئة ، وأن الفطير يرمز الى البر والطهارة •

وقد أوضح بولس الرســـول هذا الأمر وضوحاً كاملا حينما قال « اذن نقوا منكم الخميرة العتيقة ، لكى تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم

فطير. لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا . اذن لنعيد ليس بخميرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر والخبث ، بل بفطير الاخلاص والحق » (١كو ٥ : ٧ ، ٨) .

وهكذا تتضح أمامنا الصورة : الباب من الخارج مرشوش بالدم ، ومن الداخل قد نزع الخمير، والكل يأكل فطيراً. ان دم المسيح لا يمكن أن يكون تصريحاً لنا بأكل الخمير والشخص الذى يفلت بواسطة الدم من سيف المهلك ، يمكن مع هذا الخلاص الأول أن تقطع نفسه من الجماعة اذا أكل خميراً . وهكذا يفقد خلاص الدم عن طريق أكله من الخبز المختمر .

كم من أناس خلصوا من الخطيئة الأصلية بدم المسيح ، ونجوا من سيف المهلك . ثم بعد ذلك فقدوا هذا الخلاص ، وقطعوا من جسم الكنيسة ، لأنهم أكلوا مختمراً ، أولئك « الذين نهايتهم الهلاك، الذين الههم في بطنهم ، ومجدهم في خزيهم ، الذين يفتكرون في الأرضيات » (في ٣ : ١٩) .

هل بعد هذا تجرؤ أن تقول اننى أنام مطمئناً داخل الأبواب المرشوشة بالدم ، مهما كانت سيرتى ؟! أقول لك : كلا ، ان كان يوجد خمير داخل أبوابك ، فلا يمكن أن تنام مطمئناً « ان كل من يأكل مختمراً ، تقطع تلك النفس من شعبها » .

لذلك نقوا منكم الخميرة العتيقة . وعيدوا بفطير الاخلاص والحق . ان سبعة أيام الفطير ترمز الى العمر كله الذى ينبغى أن يكون طاهراً. لأن السبعة عدد يرمز الى الكمال . وطالما تعيش أيها الأخ داخل الأبواب المرشوشة بالدم ، احترس طول حياتك أن تعزل الخمير من بيتك ، لأن الحكم واضح .

الاعتراض الثامن

المسيح سدد مطالب الله

يقول المعترضون ان موت المسيح قد سدد مطالب العدل الالهى من كل جهة . فهل يطالبنا الله بتسديده مرة أخرى ؟.

كلا، ان الله لا يطالبنا بذلك، كما أننا أعجز من أن نوفي عدل الله...

وقد سدد السيد المسيح فعلا كل مطالب العدل الالهى ، وقدم كفارة غير محدودة لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس في جميع الأجيال ...

ولكننا نكرر هنا ما سبق أن قلناه ان دم المسيح شيء ، واستحقاقات دم المسيح شيء آخر . ان كل ما نفعله ، ليس هو أن تسدد مطالب العدل الالهى ، وانما أن نوجد أهلا لاستحقاقات دم المسيح .

اننا لا نحاول أن نوفي العدل الالهى حقه، فقد تم ذلك على الصليب، حين سفك الرب دمه عنا ، انما كل ما نعمله هو أن نكون مستحقين لدم المسيح .

الاعتراض التاسع

من يسمع كلامى .. له حياة أبدية :

يعترضون أيضاً بقول الرب « من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى ، فله حياة أبدية ، ولا يأتى الى دينونة بل قد انتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) .

نلاحظ هنا أنه لا يتكلم عن الايمان فقط، بل عن الأعمال بالأكثر في قوله « يسمع كلامى » أى من ينفذ وصاياى . ونحن نعتقد أن المؤمن الذى ينفذ وصايا الله حتى النهاية ، فهذا هو الذى يخلص .

ولو أننا تابعنا بقية كلام الرب في هذه المناسبة ، لوجدناه يقول « فيقوم **الذين فعلوا الصالحات** الى قيامة الحياة » (يو ٥ : ٢٩) ، ولم يقل « الذين آمنوا » ، مشدداً على أهمية الأعمال للخلاص .

الاعتراض العاشر

+ عب ١٠ : ٢٣ .
الذى وعد هو أمين :

حقاً ان وعد الله موجود ، والذى وعد هو أمين ولكن هذا لا يدعونا الى الثقة العمياء . بل ان القديس بولس ذاته يحذرنا في نفس الرسالة قائلا « **فلنخف انه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه** » (عب ٤ : ١) ، **كما يقول أيضاً « ان كنا ننكره ، فهو أيضاً سينكرنا » (٢تى ٢ : ١٢) .**

يا اخوتى ، تذكروا باستمرار خطورة استخدام الآية الواحدة .

متى نصل الى الخلاص ؟

ان كان المؤمن يمكن أن يسقط ، ويمكن أن يهلك ، وان كان هناك أناس قد بدأوا بالروح وكملوا بالجسد ، **فمتى نقول اذن عن الانسان انه قد خلص تماما ؟**

نقول ذلك عندما يكمل أيام غربته على الأرض بسلام • ذلك لأننا في حرب وصراع ، طالما نحن في الجسد » (أف ٦ : ١٠) • **نحن في حرب لم نعرف نتيجتها بعد ، لأنه من الجائز أن يكسب انسان الجولة الأولى ، ويخسر في الجولة الثانية عشرة • من يضمن ؟!• ولا يستطيع محارب أن يقول انه انتصر ، الا بعد نهاية الحرب ، أي بعد خلع هذا الجسد •**

لذلك يقول الرسول « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة »(في٢:١٢)• ويقول أيضاً « انظروا الى نهاية سيرتهم » (عب ١٣ : ٧) •

نصوص مقدسة عن خلاصنا المنتظر :

● يقول القديس بولس « فان سيرتنا نحن هي في السموات ، التى منها أيضاً **ننتظر مخلصاً** هو الرب يسوع ، الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (في ٣ : ٢٠) •

هذا هو الخلاص ، عندما نخلع هذا الجسد المائت ، ونلبس جسد المجد ••• بعد مجيء المسيح الثانى والقيامة العامة •

● ويقول كذلك « هكذا المسيح أيضاً بعدما قدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين ، سيظهر ثانية بلا خطية **للخلاص للذين ينتظرونه** » (عب ٩ : ٢٨) • تحدث الرسول هنا أيضاً عن الخلاص النهائى الذى يحدث بعد مجيء المسيح الثانى •

● وهكذا يقول القديس بطرس الرسول « أنتم الذين بقوة الله محروسون بايمان **لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير** »(١بط١:٥)•

● هذه الحقيقة ذاتها ، وضحها مار بولس عندما أمر بخصوص خاطيء كورنثوس « أن يسلم مثل هذا الشيطان لهلاك الجسد ، **لكى تخلص الروح في يوم الرب** » (١ كو ٥ : ٥) •

● عن هذا الخلاص المقبل يقول الرسول لأهل رومية (١٣: ١١) • « **فان خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا** » •

● ويقول لتلميذه القديس تيموثيئوس الأسقف « لاحظ نفسك وداوم على ذلك - لأنك اذا فعلت هذا، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضاً » (١تى ٤ ١٦) - **فهذا القديس كان محتاجاً أن يلاحظ نفسه، ويلاحظ خدمته ، ويداوم على هذه الملاحظة ، لكي يخلص** •

● وعن هـــذا الخلاص المنتظر يقول القديس بطرس الرســـول « **ان كان البار بالجهد يخلص •••** » **(١بط ٤ : ١٨)** •

● ويقول بولس الرسول عن الملائكة « أليس جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة ، **لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص**» (عب ١ : ١٤) •

● هذا الخلاص الأخير يحتاج الى صبر وجهاد حتى نناله في المجد • وفي هذا يقول القديس بولس «لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيء، لأجل المختارين لكي يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى في المسيح يسوع مع مجد أبدى » (٢ تى ٢ : ١٠) •

اذن فهؤلاء المختارين لم ينالوا الخلاص الذى فيــه المجد الأبدى ، على الرغم من أنهم نالوا خلاصاً بدم المسيح في المعمودية • ولكنه مجرد عربون (أف ١ : ١٤) • يمكن أن نفقده ان أبطلنا جهادنا وانحرفت ارادتنا •••

هذا الخلاص الأخير ، كيف نناله ؟ يجيب الرسول قائلا « فلنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) • ومن يصبر الى المنتهى ، فهذا يخلص •

★ ★ ★

الفصل السادس

اجابة أسئلة تتعلق بالموضوع

- ١ -

هل اختار الله أناساً معينين للخلاص ؟

أ - الخلاص مقدم للجميع :

يجيب الكتاب اجابة واضحة عن هذا السؤال فيقول « لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا **الله ، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون** » (١ تي ٢ : ٤) · ان الله يريد أن جميع الناس يخلصون وليست مجموعة معينة منهم · محبة الله قد شملت العالم كله · ولذلك فهو يقول « انى لا أسر بموت الشرير ، بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » (حز ٣٣ : ١١) ·

لهذا فانه في قضية الفداء يقول الكتاب « هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) · هنا نرى أن محبته عامة للجميع ، للعالم كله · والخلاص مقدم بصفة عمومية لكل من يؤمن به فادياً وليس لمجموعة معينة ·

وهذا المعنى يكرره أيضاً معلمنا يوحنا الحبيب في الحديث عن ذبيحة المسيح الكفارية ، اذ يقول « **وهو كفارة لخطايانا · ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً** » (١يو ٢ : ٢) · اذن فالسيد المسيح قد قدم الخلاص للجميع ، بذل نفسه عن الجميع · هو كفارة لخطايا العالم كله ، يريد أن الجميع يخلصون ·

هذه العمومية شرحها معلمنا بطرس الرسول فقال « بالحق أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه · **بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبولا**

عنده ... هذا هو رب الكل » (أع ١٠ : ٣٤ ـ ٣٦) . ويشبه هذا أيضاً ما قاله بطرس في يوم الخمسين « ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص » .

اذن فالله يريد أن جميع الناس يخلصون . فان لم يخلصوا جميعاً، فلا يمكن أن يرجع السبب الى الله ، وانما الى النـــاس ، لأنهم هم لم يريدوا لأنفسهم الخلاص وليس أن الله لم يرد لهم الخلاص .

ب ـ وضع الله الاختيار في أيدى الناس :

ان الله كصالح ومحب لا يشـــاء أن يهلك خاطىء واحد ، بل يريد لكل خاطىء أن يرجع ويحيا . ومع ذلك فقد وضع الاختيار في أيدى الناس ، ترك الحرية لكل انسان لكي يختار لنفسه . وفي ذلك يقول السيد الرب للانسان :

« انظر . قد جعلت اليوم أمامك الحياة والخير ، والموت والشر ... أشهد عليكم اليوم السماء والأرض . قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة.فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك»(تث١٥:١٩) .

ولو لم يكن الاختيار في يد الانسان ، فلماذا اذن أرسل الله الرسل والأنبياء ؟ ولماذا اذن وضع لنا الوصايا وقدم الانذارات ؟ لماذا عين الكهنة والمعلمين ؟ ما فائدة هذا كله لو كان هنا أناس معينين للخلاص، وآخرون معينين للهلاك ؟!.

حـ ـ نصوص كثيرة تدل على ان الارادة بيد الانسان :

كثير من وصايا الله المقدسة تبدأ بعبارة « ان أراد أحد » أو « ان أردت » أو « ان سمع أحد لصوتى » ... وأشباه هذه من العبارات ، مما يدل على أن الارادة في يد الانسان ، يختار لنفسه ما يشاء ويحدد مصيره حسب عمله . وسنضرب أمثلة لكل هذا :

قال ربنا يسوع المسيح « **ان أراد أحد أن يأتي ورائي** ، فلينكر نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعني. **فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها،** ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها » (مت ١٦ : ٢٤،٢٥) .

وقال للشاب الغنى « **ان أردت أن تدخل الحياة** فأحفظ الوصايا... **ان أردت أن تكون كامـــلا** ،فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقـــراء » (مت ١٩ : ٢١،١٧) .

وقال في رسالته الى ملاك كنيسة لاودكيا « ها أنذا واقف على الباب واقرع • ان سمع أحد صوتي وفتح الباب • أدخل اليه وأتعشى معه وهو معي » (رؤ ٣ : ٢٠) • من جهة الله فانه واقف يقرع على الباب، ومن جهة الانسان فهو الذى يملك الاختيـــار : يفتح أو لا يفتح • ونتيجة لهذا يتحدد مصيره •

وكثيراً ما يريد الله ، ولا يريد الانسان ، يريد الله الخير للانسان، ولا يريد الانسان الخير لنفســه • ويتركه الله لحرية ارادته ، يلقى مصيره حسبما يشاء •

مثال ذلك قول الرب في بكائه على أورشليم «كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فـراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا • هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » (مت ٢٣ : ٣٧،٣٨) • ومثـال ذلك أيضاً توبيخ الرب لليهود اذ قال لهم « **ولا تريدون أن تاتوا الى لتكون لكم حياة** » (يو ٥ : ٤٠) •

ويدخل في هـذا النطاق أيضا مثال العرس والمدعوين ، اذ يقول الرب عن صاحب العرس « وأرسل عبيده **ليدعوا المدعوين الى العرس، فلم يريدوا أن ياتوا** » (مت ٢٢ : ٣) • انهم مدعوين الى العرس ، وليسوا معدين للهلاك • الله يفتح لهم ملكوته ، ولكنهم يرفضون أن يدخلوا • وفي مثال العرس هذا نجد أن الدعوة تكررت أكثر من مرة ومن مرتين • وفي كل مرة يرسل الرب الى هؤلاء المدعوين عبيداً آخرين، ولكنهم لم يريدوا أن ياتوا • لذلك ختمت هذه المأسـاة بقول الرب لعبيده «**أما العريس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين**» (مت ٢٢ : ٨) •

من أعمق الأمثلة على مدى اهتمام الله بارادة الانســـان في تقرير مصـيره • أن السيد المســيح له المجد يقول للمريض قبل شــفائه « **أتريد أن تبرأ ؟** » (يو ٥ : ٦) • ان الطبيب العظيم مستعد أن يشفى ، ولكن مشكلة الذين يهلكون هى أنهم لا يريدون أن يبرأوا •

د ـ الله مستعد أن يرجع عن حكمه :

هل يوجـد أوضـح من هـذا دليلا على عمق رغبة الله في الاهتمام بخلاصنا ؟! لا مانع لدى الله في أن يرجع عن حكمه ان رجع الانسان عن شره وطلب لنفسه الخلاص •

« واذا قلت للشرير موتا تموت • فان رجع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق ••• وسلك في فرائض الحياة بلا عمل اثم ، فانه حياة يحيا • لا يموت • كل خطيئته التى أخطأ بها لا تذكر عليه • عمل بالعدل والحق ، فحياة يحيا » (حز ٣٣ : ١٤ ــ ١٦) •

وهذا المعنى ذاته ذكره الله أيضاً في سفر أرميا النبى ، اذ قال «تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك ، فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها • وتارة أخرى أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس • فتفعل الشر في عينى فلا تسمع لصوتى ، فأندم على الخير الذى قلت انى أحسن اليها به » (أر ١٨ : ٧ ــ ١٠) •

ولنا مثل عملى واضح في قصة نينوى : لقد أصدر الله عليها حكماً • ولكن أهل نينوى تابوا بمناداة يونان • وهكذا يقول الكتاب « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ، ندم الله على الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونان ٣ : ١٠) •

اذن الأمر يتوقف على الانسان • ولذلك فان معلمنا يعقوب الرسول يقول « اقتربوا الى الله فيقترب اليكم » (يع ٤ : ٨) • والله نفسه يقول في سفر ملاخي النبى « ارجعوا الى أرجع اليكم » (ملا ٣ : ٧)•

هـ ــ الرد على بعض الاعتراضات :

نبدأ أولا بقول بولس الرسول في الرسالة الى رومية « ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده • لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم، ليكونوا مشابهين صورة ابنه ••• » (رو ٨ : ٢٨ــ٣٠) • ونلاحظ في هذا النص ملاحظات هامة وأساسية :

نلاحظ أنه قال « كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله » ولم يقل « للذين يحبهم » فالأمر متوقف عليهم لا عليه • وهذا ينطبق أيضاً على قول بولس الرسول « بل كما هو مكتوب ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على بال انسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » (١كو ٢ : ٩) ولم يقل أيضاً « للذين يحبهم » • لأن الأمر يتعلق في خلاصهم على ارادتهم هم •

ملاحظة ثانية، وهي أن تعيين الله ليس مرجعه الى اختيار الله وانما الى سبق معرفته . كما قال « الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم » . فالله بسبق معرفته ، وبادراكه لما سوف يحدث في مستقبل الزمان ، عرف من هم الذين سوف يسلكون حسب مرضاته بالبر والاستقامة بكامل اختيارهم . هؤلاء الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم .

هذا الكلام ينطبق أيضا على قصة يعقوب وعيسو ، كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » (رو ٩ : ١٣) . فالله بسبق معرفته كان يعرف أن عيسو سيكون انساناً مستبيحاً، قاتلا، يستهين بالبكورية ويبيعها بأكلة عدس . وكان يعرف أيضاً وداعة يعقوب وحبه للخير .

فأحب الله في يعقوب ما رآه فيه بسبق المعرفة ، وأبغض في عيسو ما رأى أنه سيحدث منه بسبق المعرفة أيضاً . ولكننا لا نستطيع مطلقاً أن نقول ان الله عين عيسو للهلاك ، وعين يعقوب للخلاص ، بمعنى أنه كتب على عيسو الهلاك مهما كان اختياره!! واختار يعقوب للخلاص مهما كانت أعماله !! حاشا لله أن يفعل هذا .

يأتي بعد ذلك قول الكتاب « ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا . أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة اناءاً للكرامة وآخر للهوان » (رو ٩ : ٢٠، ٢١) . نعم أن للفخاري سلطاناً على الطين أن يصنع منه ما يشاء اناءاً للكرامة أو للهوان . وليس للطينة أن تقول له « لماذا صنعتني هكذا » . ولكن الفخاري أيضاً حكيم وعادل .

ومن التفسيرات الجميلة التي سمعتها عن هذا الموضوع ان الفخاري – مع كامل حريته وسلطانه – ينظر بحكمة الى قطعة الطين ويفحصها . فان رآها جيدة وناعمة ولينة وتصلح أن تكون اناءاً للكرامة ، فانه لا بد سيجعلها اناءاً للكرامة . من غير المعقول أن تقع طينة رائعة في يد فخاري ، فيصنع منها اناءاً للهوان . لأنه فخاري حكيم . أما اذا كانت الطينة خشنة ورديئة ، ولا تصلح اناءاً للكرامة ، فان الفخاري مضطر – بما يناسب حالتها – أن يصنع منها اناءاً للهوان .

فالأمر اذن وقبل كل شيء، يتوقف على حالة الطينة ومدى صلاحيتها، مع اعترافنا بسلطان الفخاري وحريته .

ان الفخارى ، على قدر امكانه ، يحاول أن يصنع من الطين الذى أمامه آنية للكرامة ، على قدر ما يساعده الطين على ذلك · ولذلك قال الرب « هوذا كالطين بيد الفخارى ، أنتم هكذا بيدى يا بيت اسرائيل· تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك · فترجع تلك الأمة التى تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذى قصدت أن أصنعه بها · وتارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر فى عينى فلا تسمع لصوتى ، فأندم على الخير الذى قلت انى أحسن اليها به » (أر ١٨ : ٦ – ١٠) ·

يذكرنا هذا بمثل الزارع الذى خرج ليزرع (مت١٣ : ٣–٨) : الزارع هو نفس الزارع،والبذار هى نفس البذار·ولكن حسب طبيعة الأرض التى سقطت عليها البذار،هكذا كانت نتيجتها فى التلف أو الاثمار· ان الزارع لم يعد بذاراً للجفاف أو الاحتراق أو لتختنق بالشوك أو ليأكلها الطير · ولكن طبيعة الأرض هى التى تحكمت فى الأمر ·

الانسان حر اذن فى اختيار مصيره · « لأن من يزرع لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً · ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غلا ٦ : ٨) ·

و – بحث الأمر من الناحية اللاهوتية :

ان مبدأ الاختيار هذا فيه ظلم وفيه محاباة ولا يتفق مع عدل الله الذى « يجازى الانسان حسب عمله » (٢كو ٥ : ١٠) · فاذا كان الله يرحم من يرحم ، ويترأف على من يترأف ، ويترك الباقين للهلاك ، فكيف يتفق هذا مع عدل الله ؟!·

والذين عينهم الله للهلاك ، ما ذنبهم ؟! ألا يؤدى هذا الى أن يقع الخطاة فى اليأس ، شاعرين بأنه لا فائدة من جهادهم ، ما داموا أوانى قد أعدت للهوان · أما الأبرار فان هذا ولا شك يدفعهم الى التراخى والتهاون ، شاعرين أنهم مخلصون مخلصون ، جاهدوا أو لم يجاهدوا ···!!·

ثم ما معنى الثواب اذا كان هناك أشخاص مكتوب عليهم الهلاك قبل أن يولدوا، وآخرون مكتوب لهم الخلاص قبل أن يولدوا ؟!· فالمختارون اذن ما فضلهم حتى يثابوا ؟ والأشرار ما ذنبهم حتى يعاقبوا ؟·

وما لزوم الوصية اذن ، ان كان مصير الانسان محتماً أطاع الوصية أو لم يطعها! ثم ألا يتعارض مبدأ الاختيار هذا مع ارادة الانسان الحرة؟.

وما جدوى الشيـــطان أيضا في اختيار ارادة الانسان ؟ ما جدوى تعبه في اغراء المختارين وهم خالصون لا محالة مهما كانت اغراءاته ؟. وما جدوى تعبه في اسقاط غير المختارين، وهم هالكون حتى ان لم يحاربهم .

وما لزوم الكرازة والتبشير والرعاية والتعليم ، ان كان ذلك سوف لا يغير شيئاً مما كتب على الانسان من اختيار أو رذل ؟.

ان فكرة الاختيار هذه توقع العالم في بلبلة ، وتتنافى مع عدل الله ، كما تتعارض أيضاً مع ارادة الانسان الحرة .

- ٢ -

ماذا كان جهاد اللص حتى خلص ؟

ان الذين يدعون أن الخلاص هو بالايمان وحده ، يتساءلون : أية أعمال صالحة قد عملها اللص اليمين ، وأي جهاد جاهده حتى خلص ؟.

ونحن نجيب بأن اللص عمل أشياء كثيرة ، أهمها :

أ ـ آمن اللص بالرب في ظروف قاسية جداً :

مجرد ايمان اللص لم يكن أمراً ســهلا . لو أنه آمن بالرب ، وهو يقيم الموتى ، ويشفي المرضى، ويمشي على الماء ، وينتهر الريح، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقلنا ان تلك أمور واضحة لا تقبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصلوب ! آمن به وهو مهان ومحتقر من الناس، وأمام الكل في حالة ضعف ! يلطمونه ، ويبصقون على وجهه ، ويستهزئون به، ويقولون له « تنبأ من لطمك » !..

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هــذا الايمان . ولو أن هذا اللص لم يؤمن لالتمس له الناس الأعذار . فكيف يمكن أن يؤمن برجل مصلوب مهان أنه اله ؟! لا بد أن اللص كان محتاجاً الى جهاد كبير

مع نفسه من الداخل الى هذا الايمان ، مقاتلا الشكوك الكثيرة التى تقف أمامه وتكاد تلغى ايمانه ..

كل من يقول ان اللص لم يجاهد، يبدو أنه لم يتخيل ويتصور الموقف الذى أحاط باللص ... ذلك الموقف الذى أعثر فيه غالبية الناس ، حتى التلاميـــذ الذين قال لهم الرب « كلكم تشكون في هذه الليلة لأنه مكتوب أضرب الراعى فتتبدد الخراف » (مر ١٤ : ٢٧) . وفعلا تبددت الرعية كلها! ولم يستطع أن يقف الى جوار الصليب الا المريمات ويوحنا الحبيب فقط ... وهذا اللص !.

انشق حجاب الهيكل ، واظلمت الشمس ، وتشققت الصخور ... فهل كان هذا كافيا للايمان؟ اننا نعرف جيداً أنه على الرغم من كل ذلك، **لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة والشيوخ والكتبة والفريسيون . كما لم يؤمن اللص الآخر أيضا** ... ان ايمان اللص اليمين لم يكن أمراً هيناً .

ب ــ اعترف بالرب اعترافا كاملا :

ان عبارة « اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك » (لو ٢٣ : ٤٢) . تحمل معانى كثيرة : فهو قد اعترف بالمسيح المصلوب رباً ، واعترف به أيضا ملكاً . اعترف بأن للمسيح ملكوتاً ، وانه آت الى ملكوته ، أى أن ليس للموت سلطان عليه . وآمن أيضاً بأن المســيح يمكنه أن يدخله الملكوت ، أى آمن بأن خلاصه سيكون على يد هذا المصلوب معه .

وكان لهذا اللص رجاء كبير . فعلى الرغم من كل ما فعله في حياته من شرور بشعة ، آمن أنه يمكن لمثله أن يخلص وأن يدخل الملكوت ، عن طريق المسيح .

ولم يكتف هذا اللص بايمانه ، وانما اعترف بهذا الايمان علانية، أمام الجميع ، بلا خجل ... الأمر الذى لم يقدر عليه بطرس الرسول وغالبية الرسل والتلاميذ .

ان اللص لم يعترف فقط بايمانه بالمسيح ، وانما :

جـ ـ اعترف أيضاً بخطاياه :

لم يكتف اللص بالاعتراف بالايمان ، وانما ملكته الغيرة المقدسة حينما سمع زميله يجدف على المسيح قائلا «ان كنت أنت المسيح فخلص نفسك وايانا » فأجابه اللص اليمين منتهراً « أو لا تخاف أنت الله ، اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه • أما نحن فبعدل (جوزينا) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا • وأما هـــذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله » (لو ٢٣ : ٣٩ ـ ٤١) •

وهكذا اعترف اللص بخطاياه ، واعترف باســتحقاقه للعقاب • اعترف أنه اذ يموت مصلوباً ، انما ينال استحقاق ما فعل• فكأنه لم يستعظم الحكم ، وانما قال « نحن بعدل جوزينا » •

وكان هذا اللص روحيا في مسلكه : فبينما كان اللص الآخر يفكر في وسيلة للنجاة من الموت والصلب ، قائلا للمســيح « خلص نفسك وايانا » ، كان هذا اللص المؤمن يفكر في الملكوت ، ويتوسل الى السيد من أجل خلاصه الأبدى، لا من أجل أن ينقذه من موت الجسد • من جهة موت الجسد فقد رضى اللص اليمين به عقاباً على خطاياه • لكنه وجد هـذه اللحظات لازمة له للتفكير في أبديته • وانشــغل ذهنه بالرب وملكوته ، لذلك نراه أيضاً يدافع عن الرب •

د ـ دافع عن الرب :

وقف المسيح وحيداً لم يدافع عنه أحد ممن تنعموا بنعمه ومعجزاته• لم يدافع عنه أحد من رسله ولا من الســـائرين وراءه • وباستثناء أسماء قليلة ، ارتفع صـــوت هذا اللص ، يخجل الآلاف من ناكرى الجميل قائلا « وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس في محله » •

دفاع عجيب من شخص يســـتقبل الموت ، دل به على أن البشرية ما تزال فيها بقية من خير • لذلك استحق أن يقول له الرب « اليوم تكون معى في الفردوس » •

أيسأل الناس اذن ويقولون : ماذا كان جهاد اللص وما الذى فعله؟ اننى أسألهم جميعاً سؤالا آخر يسرنى أن أسمع الاجابة عليه ، وهو : ماذا كان بامكان هذا اللص أن يفعل أكثر من هذا ولم يفعله ؟!•

- ٣ -

كيف خلصوا بدون عماد ؟

هنـــاك بعض قديســـين نالوا اكليل الشهادة قبل أن ينالوا نعمة العماد ... كان يكونوا قد استشهدوا وهم في صـــفوف الموعوظين ، بعد ايمانهم .. أو انهم شهدوا عذابات بعض الشهداء وشجاعتهم في لقاء الموت وما حدث لهؤلاء الشـــهداء من معجزات ، فآمنوا واعلنوا ايمانهم ، وقتلهم الولاة قبل أن ينالوا نعمة العماد . وهنـــا يواجهنا سؤال لاهوتى :

يسأل البعض: كيف خلص هؤلاء الشهداء بدون عماد، وكيف خلص اللص اليمين بدون عماد أيضاً ما دامت المعمودية لازمة للخلاص ؟

الجواب : لقد شرحنا سابقاً أن المعمودية في جوهرها هى موت مع المسيح . ولذلك قال بولس الرســـول « اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية للموت ... فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضاً معه » (رو ٦ : ٣ـ٨) . **فما دامت المعمودية موتا مع المسيح ، فاننا نقول في صراحة ووضوح ان هذا اللص قد مات مع المســـيح فعلا ...**

كذلك الشهداء قد ماتوا مع المسيح . اشتركوا معه في الموت . وفي سفك دمائهم . لذلك تسمى الكنيسة مثل هذا الموت معمودية الدم . ولو أعطيت لهؤلاء فرصة من العمر ، لتمموا معمودية الماء أيضاً .

★ ★ ★

في هذا الكتاب

باسم الآب والابن والروح القدس
الإله الواحد آمين

في موضوع الخلاص ، كما في باقي الموضوعات اللاهوتية ، لا يصلح تقديم آية واحدة من الكتاب لإثبات عقيدة ...

إنما يجب على الباحث أن يلم بكل الآيات المتعلقة بالموضوع ، ويجمعها من كافة مواضعها ، لكي يصوغ منها كلاً متجانساً ، يتفق مع الفهم اللاهوتي السليم ...

وفي الكتاب الذي بين يديك ، ترى مثالاً لهذا المنهج من البحث ...

وهناك أجزاء أخرى من هذا الكتاب ، في طريقها إليك ، لتكملة موضوع « الخلاص » ...

شنوده الثالث

